النزعة المثالية في فلسفة جوزايا رويس

(دراسة تحليلية)

إعداد الدكتور

أحمد الهادي زكريا شحاتة

مدرس العقيدة والفلسفة

كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

جامعة الأزهر – مصر

النزعة المثالية في فلسفة جوزايا رويس
دراسة تحليلية

أحمد الهادي زكريا شحاتة
قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: ahmedzakaria662012@gmail.com

الملخص:

تدور هذه الدراسة حول "النزعة المثالية في فلسفة جوزايا رويس– دراسة تحليلية "، حيث يعد "جوزايا رويس"، من بين كبار المثالية في القرن التاسع عشر، في كونه قدم محاولة منه في التوفيق بين الفلسفة والدين، وهل يمكن أن تقدم الفلسفة المثالية حلًا لعلاقة الإنسان بالله ويحقق للإنسان حريته واستقلاليته، وقد أظهر لنا "رويس"، هذا التوفيق في مجالات عديدة منها، كالمطلق، والطبيعة، والأخلاق، والإنسان، وقد أثبت من خلال مؤلفاته التوفيق بين المثالية والبرغماتية، بالرغم من وجود فرق بينهما، في مجال الحكم على الفعل الأخلاقي، فالخير عند المثاليين يتطابق مع الوجوب، وعند البرغماتيين يتطابق مع النتائج، ومن المآثر التي يتمتع بها "رويس"، أنه جمع بين التأليف الفلسفي كمفكر تبنى مذهب المثالية، وبين التأريخ للفلسفة ، وكان لطبيعة الدراسة أن يتناول الباحث فيها، المنهج التحليلي: حيث يحلل آراء وأفكار "جوزايا رويس"، كما يتناول الباحث، المنهج النقدي: حيث يقوم بنقد فلسفته كلما دعت الضرورة، كذلك المنهج المقارن: حيث يقارن هذه الآراء مع غيرها من الآراء المتشابهة للفلاسفة، ثم ذيلت البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج المستخلصة و قائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: النزعة ، المثالية ، فلسفة ، جوزايا رويس ، الطبيعة.

The Philosophy of Religion in Richard Swinburne

(A critical Analytical Study) □

Ahmed Elhady zakaria shehata.
Department of Belief and Philosophy, College of Fundamentals of Religion and Da`wah in Mansoura :Al-Azhar University, Mansoura, Egypt.
Email: ahmedzakaria662012@gmail.com

Abstract:

This study revolves around "Richard Swinburne's Philosophy of Religion - an analytical study, where Richard Swinburne reaches an important and high position among the European philosophers as one of the most important contemporary philosophers of religion in England in the twenty-first century, as he has many and varied contributions in the field of philosophy." In general, and the philosophy of religion in particular, his main contributions to the philosophy of theology have been identified, and perhaps his most important philosophical achievements are the precise formulation of the proofs he presented on the existence of God. He presented sufficient evidence on revelation, prophecy and miracle, and "Richard Swinburne" spoke about belief and faith, and about the concept of worship and holiness. The nature of the study was for the researcher to deal with the analytical method: where he analyzes the opinions and ideas of Richard Swinburne. The researcher also deals with the critical method: where he critiques his philosophy whenever necessary, as well as the comparative approach: where he compares these opinions with other similar opinions of philosophers, then The research was followed by a conclusion that included the most important results and a list of sources and references.

Keywords: Philosophy of Religion , Richard Swinburne , belief , Freedom of will.

المقدمة

الحمدُ لله ربِ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على أفضلِ الخلقِ وإمـام أهـل الحـق، المبعوث رحمة للعالمين، سيدُنا محمدٍ ﷺ وعلىَ آلِ بيتهِ الطيبينَ الطاهرينَ، وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، **وبَعْدُ،**

فتتمحور هذه الدراسة حول "النزعة المثالية في فلسفة جوزايـا رويـس– دراسـة تحليلية"، فمن الفلاسفة الذين أسهموا في هذا الجانب، المفكر والفيلسوف الإنجليزي المثـالي المعاصر "جوزيا رويس Royce, Josiah"، المولود بسيبرا نيفادا، بولايـة كاليفورنيـا بأمريكا، في ٢٠ نوفمبر عام ١٨٥٥م، حيث يحتل مكانة مهمة ورفيعة بين فلاسفة العالم الأوربي بأمريكا بكونه واحدًا من أهم فلاسفة المثالية المعاصرين في أمريكا فـي القـرن التاسع عشر، حيث إن له إسهامات عديدة ومتنوعة في مجال الفلسفة بوجه عام، والفلسفة المثالية بوجه خاص، ولقد تعينت إسهاماته الرئيسية في الفلسفة المثاليـة، ولعـل أكثـر إنجازاته الفلسفية أهمية هي كونه قدم محاولة منه في العديد من كتبه خاصة الجانب الديني للفلسفة للتوفيق بين الفلسفة والدين ودفاعًا عن الفلسفة، وفي الوقت نفسه مؤكدا على عقلانية الدين.

ولقد جاءت فلسفة "جوزايا رويس"، المثالية، فلسفة قادرة على الكشف عـن ديـن مثالي، يستطيع كل إنسان اكتشافه بنفسه، بصرف النظر عن عقيدته، فإن كان الدين يستند على قانون أخلاقي ومثل أخلاقية عليا، ويحقق للإنسان الحمـاس الجـارف، والعاطفـة الدافعة تجاه هذا القانون، ويقدم نظرية ورؤية للعالم، تبين توافق طبيعة الأشياء، ونظـام العالم مع هذا القانون الأخلاقي، وترشد الفرد نحو طرق تحقيقه، فـإن الفلسـفة المثاليـة قادرة على إقامة هذا الدين – على حد زعم جوزايا رويس"– ، إنه دين بلا طقوس وبـلا

عقائد بالية حجرت العقول، وأثارت الصراعات والحروب، ولا يستمد كيانه من حقائق يقينية دجماطقية ، – أي امتلاك الحقيقة الواحدة التي لا تتغير– إنه دين العقل، دين المثالية في كل عصر، بصيرة دينية تظهر وسط الشكوك، حقيقة دينية كلما ازداد الشك فيها ، تكتشف يقيناً جديدًا، يكمن في كل شيء، فالعالم مظهر لها والفكر الإنساني نموذجها،فهي وعي ذاتي أبدي واحد شامل فلسفة تقول بوحدة الحياة.

ولا تعارض مثالية "جوزايا رويس"، العلم، ولا تقف حجر عثرة أمامه، بوضع أحكام وفروض مسبقة، وإنما تجعل للعلم مكانه. ومثلما جاءت مثالية "جوزايا روبيس"، مجددة للدين، جاءت مجددة للأخلاق، فنبتت الأخلاق من وسط فوضى المثل العليا، التي سادت الفكر الفلسفي في "القرن التاسع عشر"، ومن جوف التشاؤم وظلام الشك نبتت البصيرة الخلقية، التي ترشد الإنسان نحو الخيرية، وتحقيق أكبر قدر من الانسجام والوحدة بين الأفراد، وبيين الغايات الأخلاقية المتصارعة، فترشد الإنسان نحو المثل الأعلى، الذي لا يستمد قيمته من واقع يكشف عنه، أو من عاطفة ذاتية يرغبها، وإنما من ذاته ومن كل شيء يوجه إليه، فالشك أول مراحل البصيرة الخلقية التي ترشد الإنسان عن واجباته، إلى مهمته في الحياة،، وإلى وجود العقل الكلي الشامل لكل شيء، والإرادة الكلية الخيرة فيرى الإنسان غايته تتحقق في الكون، والشر ما هو إلا خير كلي، يحيا مهزومًا في باطن الفعل الخير، فهو جزء ضروري من كيان الإرادة الخيرة، ومثلما يشعر الإنسان بهزيمة الشر بداخله، بوصفه جزءًا رئيسًا من إرادته الخيرة، فإنه يستدل على أن الشر جزء ضروري له مكانته في الخيرية المطلقة.

وتكمن أهمية البحث وأسباب اختياره : في القاء الضوء على واحد من أهم فلاسفة المثالية في القرن التاسع عشر الذين أسهموا في هذا الجانب، ولما لهذا الفيلسوف من مكانة مهمة ورفيعة بين فلاسفة العالم الأوربي بكونه واحدًا من أهم فلاسفة المثالية في أمريكا.

وتظهر إشكالية البحث من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: ما ملامح المنهج الفلسفي عند "جوزايا رويس"؟.

السؤال الثاني: ما هي المفاهيم التاريخية للوجود؟.

السؤال الثالث: هل من الممكن تشكيل المثال الأخلاقي من داخل الذات وبعيدًا عن أي نظرية في العالم الطبيعي؟ أم من الممكن تشكيل المثل أولًا ثم يطلب من العالم الخضوع له؟.

السؤال الرابع: إذا كان العالم من صنع مدبر حكيم يعرف قيمة الخير، فكيف يسمح بوجود الشر؟.

السؤال الخامس: ما مفهوم الإنسان وطبيعته عند "جوزايا رويس"؟. وهل يمكن أن تقدم الفلسفة المثالية حلًا لعلاقة الإنسان بالله ويحقق للإنسان حريته واستقلاليته؟. وغيرها من التساؤلات الهامة التي سوف يعرضها البحث.

وأمّا المنهج الذي سلكته في هذا البحث:

المنهج التحليليّ: حيث يتطلب البحث تحليل الأفكار الفلسفية الخاصة بالفيلسوف وآخرين من أجل تحديد أهم المقولات التي تساهم في تشكيل فلسفة "جوزايا رويس".

المنهج النقدي: حيث يتطلب البحث النقد الفلسفي لأفكار "جوزايا رويس"، كلما دعت الضرورة.

المنهج المقارن: حيث يقارن هذه الآراء مع غيرها من الآراء المتشابهة للفلاسفة.

هذا وقد جاء البحث مشتملًا على مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث.

المقدمة: وتشتمل على التعريف بالبحث وأهميته وأسباب اختياره، والخطة التي اشتمل عليها البحث.

التمهيد: ويشتمل على التعريف بمصطلحات البحث.

أولاً: التعريف "بالمثالية".

ثانيًا: التعريف "بجوزايا رويس".

المبحث الأول: النزعة المثالية في الحقيقة الوجودية والاعتقاد الديني.

أولاً: المفهوم الواقعي لما هو موجود.

ثانيًا: المفهوم الصوفي.

ثالثًا: المفهوم العقلي النقدي.

رابعًا: المفهوم الرويسي المثالي للوجود.

المبحث الثاني: الأخلاق المثالية في فلسفة جوزايا رويس.

أولاً: صراع المثل العليا.

ثانيًا: التشاؤم الشك الأخلاقي.

ثالثًا: البصيرة الخلقية والتبصر الأخلاقي.

١-الحرية الأخلاقية.

٢-وجود الشر.

المبحث الثالث: النزعة المثالية في مفهوم الإنسان عند جوزايا رويس.

أولًا: مفهوم الإنسان وطبيعته.

ثانيًا: علاقة الإنسان بالطبيعة.

وأخيرًا: الخاتمة، ثم فهرس المصادر والمراجع.

وبعد؛ فإن كان من فضل وتوفيق فمن الله وحده، وإن كان من خطأ، أو سهو، أو نسيان، فذلك من نفسي والشيطان، والله ورسوله منه براء، والحمد لله أولًا وأخيرًا، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد

التعريف بمصطلحات البحث

أولًا: التعريف بالمثالية

تعرف المثالية بأنها :"مجموعة متنوعة من الفلسفات الميتافيزيقية التي تؤكد أن الواقع بطريقة أو بأخرى لا يمكن تمييزه أو فصله عن الفهم ، أو الإدراك البشري، إنه بشكل مجبول في العقل، أو مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالأفكار" (١).

والمثالية ترد: "كل وجود إلى الفكر بأوسع معاني هذا اللفظ، فوجود الأشياء مرهون بقوى الإدراك". والمثالي: "وصف لكل ما هو كامل في بابه، كالخلق المثالي، واللوحة المثالية"(٢).

إذن فالمثالية ترد كل وجود إلى الفكر بأوسع معاني هذا اللفظ، وهذا ما كان عليه فيلسوف البحث حيث تتركز مجمل فلسفته المثالية ، حول مسألة التوفيق بين الدين والفلسفة، حيث ركز في مشروعه الديني على مفاهيم المطلق وعلاقة الفرد بالجماعة ومفهوم الولاء والشك وغيرها من المفاهيم: " والتعبير الأول للمثالية الرويسية هي الترجمة بعبارات ما ورائية لاعتقاد "جوزايا رويس" بكل أزلي، مطلق إلهي، حيث سنكون نحن الأجزاء" (٣).

ولقد ظهرت الفلسفة المثالية في منهج "جوزايا رويس"، ففي كتابه "روح الفلسفة الحديثة"، تحدث فيه عن روح الفلسفة الحديثة، وتجلياتها في الفلاسفة والمذاهب، واعتبر المثالية روح هذه الفلسفة وانتهى في كتابه "محاضرات في المثالية الحديثة"، إلى اعتبار المثالية دين الفلسفة، وتحويلها إلى حدس ديني"(٤).

---

(١) د. إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي ، نشر الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م، ص١٦٩-١٧٠.

(٢) المرجع نفسه: ص١٧٠.

(٣) جيرار ديلودال: الفلسفة الأمريكية، ترجمة، جورج كتورة، وإلهام الشعراني، نشر المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢٥٦.

(٤) أحمد الأنصاري : فلسفة الدين عند جوزايا رويس، نشر مركز الكتاب ، مصر، ٢٠٠٤م، ص٦١.

والفلسفة المثالية عند "جوزايا رويس"، قادرة على إقامة دين بلا طقوس وبلا عقائد ، فهي في نظره دين العقل ودين كل عصر، ولا تعارض بين مثالية "جوزايا رويس"، و العلم ، فلا تقف المثالية حجرة عثرة أمامه، لذا جاءت فلسفته مثالية مطلقة واحدية تسير في تيار المثالية بصورة عامة، وفي تيار الفلاسفة الكانطيين، أو من يسمون بالفلاسفة بعد "كانط Immanuel Kant"(١). بصورة خاصة.

ثانيًا: التعريف "بجوزايا رويس".

١- مولده ونشأته

ولد الفيلسوف الإنجليزي المثالي المعاصر "جوزيا رويس Royce, Josiah"، بسيبرا نيفادا، بولاية كاليفورنيا بأمريكا، في ٢٠ نوفمبر عام ١٨٥٥م، لوالدين انجليزيين ، ونشأ وتربى بها، درس الفلسفة، وسمع قراءة الأنجيل من والدته، وتعلم القراؤة، وفن الجدل من إحدى أخواته البنات، التي كانت تكبره بثلاث سنوات"(٢).

التحق "جوزايا رويس"، بجامعة كاليفورنيا عام ١٨٧١م، ثم حصل على درجة البكالوريوس عام ١٨٧٥م، ثم كتب بحثًا عن اللاهوت في مسرحية "بر ونيوس مقيدًا"، نال به منحة من المال، مكَّنتُه من تقضية عامين في "ألمانيا"، فقرأ فلسفة الألمان وخصوصًا الفيلسوف الألماني "فريدريك هيجل١٧٧٠م – ١٨٣١ Frederic Hegel"(٣)، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة "جونز هوبنكر"، في بلتيمور، الولايات المتحدة الأمريكية،وكان

(١) **إيمانويل كانط:** هو عمانوئيل كانط، فيلسوف ألماني، ولد عام ١٧٢٤م، بكونيغسبرغ بألمانيا، فلسفته، نقدية اهتمت بتحليل المعرفة تحليلًا نقديًا، فركزت اهتمامها على نقد العقل النظري في تمييزه بين الصحيح والخطأ وإدراكه للواقع، من مؤلفاته، نقد العقل الخالص، أفكار في التقويم الصحيح للقوى الحية، التاريخ العام لطبيعة ونظرية السماء، وغيرها، وتوفي عام ١٨٠٤م. (ينظر: أ. روني إيلي ألفا: أعلام الفلسفة العرب والأجانب، قدم له، الرئيس شارل حلو، مراجعة، د. جورج نخل، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ج٢، ص٢٤٤-٢٤٦) .

(٢) جوزايا رويس: الجانب الديني للفلسفة، ترجمة ، أحمد الأنصاري، ملاجعة، حسن حنفي، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠م، ص٥.

(٣) **فريدريك هيجل**: هو هيغل، جيورغ ويلهلم فريدريك، فيلسوف ألماني، ولد عام ١٧٧٠م، بمسقط رأسه بألمانيا، فلسفته أهتم في بدأ نتاجه الفلسفي بمسائل الدين والتاريخ في فكر ملازم للواقع الذي هو حياة الشعور وروح اليهودية والمسيحية، واكتشاف الروح الديني أو روح الشعب وإلى إيجاد مفاهيم جديدة يترجم من خلالها حياة الإنسان التاريخية ووجوده، و من مؤلفاته، الإيمان والمعرفة، فينومينولوجيا العقل، المنطق الكبير، فلسفة العقل، وغيرها، توفي عام ١٨٣١م. (ينظر: أ. روني إيلي ألفا: أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج٢، ص٥٦٩-٥٧٤) .

حينها يستمع ويتعلم من الفيلسوف الأمريكي "وليم جيمس١٨٤٢م – ١٩١٠م William James"[١]. ثم عين "جوزايا رويس"، مدرسًا في جامعة "كاليفورنيا بأمريكا" لبضعة أعوام، ثم أستاذاً مساعدًا، وفي عام ١٨٩٢م، عين أستاذاً في نفس الجامعة، وشغل كرسي "اللفورد للفسفة" في جامعة "هارفارد" عام ١٩١٤م، وتوفي في "ماساتشوستس" بأمريكا، في ١٤ سبتمبر عام ١٩١٦، عن عمر يناهز ٦٠عامًا [٢].

٢- منهج "جوزايا رويس".

تأثر "جوزايا رويس" بفلسفة الفيلسوف الألماني "فريدريك هيجل"، فأقر سيادة عالم الأفكار على عالم الوقائع، ملتزمًا المثالية التي اعتبرها متفوقة على المادية، لأنها قادرة على حل جميع المشكلات التي يطرحها العلم، فجاءت فلسفته المثالية، قادرة على الكشف عن دين مثالي، يستطيع كل إنسان اكتشافه بنفسه، بصرف النظر عن عقيدته ..... ولا تعارض بين مثالية "جوزايا رويس"، والعلم، فهي لا تقف حجر عثرة أمامه، ولا تضع أحكام وفروض مسبقة عليه، وإنما تجعل للعلم مكانة [٣].

تأثر "جوزايا رويس" بفلسفة الفيلسوف الألماني "فريدريك هيجل"، فأقر سيادة عالم الأفكار على عالم الوقائع، ملتزمًا المثالية التي اعتبرها متفوقة على المادية، لأنها قادرة على حل جميع المشكلات التي يطرحها العلم، وقد عالج "جوزايا رويس"، بنظرته المثالية مجالات عديدة منها، كالمطلق، والطبيعة، والأخلاق، والإنسان، ولتحديد معنى الوجود بيَّن "جوزايا رويس"، إن معاني الوجود تتغير بتغير موضوع وضعها، فحين يوصف الله أو العالم أو الإنسان الفرد بالوجود، يكون تحديد معنى الوجود تحديدًا لطبيعة الواقع الذي

---

(١) **وليم جمس**: هو وليم جمس، فيلسوف من أمريكا الشمالية أخ هنري جايمس الروائي الشهير صاحب كتاب صورة امرأة، ولد عام ١٨٤٢م بأمريكا، فلسفته، إرادة تحويل السيكولوجيا إلى علم قائم بحد ذاته لذا لابد من خلق منهج واحد يسير علم النفس، و من مؤلفاته، مبادئ في علم النفس، إرادة الاعتقاد ومحاولات أخرى، تنوعات الاختبار الديني، البراغماتية، وغيرها، توفي عام١٩١٠م (ينظر: أ. روني إيلي ألفا: أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج١، ص٣٧٥-٣٧٧) .

(٢) أ. روني إيلي ألفا: أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج٢، ص٥٦٩-٥٧٤.

(٣) جوزايا رويس: الجانب الديني للفلسفة، ص٧-٨.

نفهمه من خلال التجربة، ويشير "جوزايا رويس"، إلى ضرورة فهم الفكرة وعلاقتها بالواقع فيؤكد سيادة عالم الأفكار على عالم الوقائع، معتبرًا أن كل ما هو موجود عقلي، وأن كل ما هو عقلي موجود؛ فالأفكار هي الوجود [١].

لقد جاءت فلسفة "جوزايا رويس"، توفيقية بين الفلسفة والدين ، وهذا التوفيق لا يعني رد الدين إلى الفلسفة، أو رد الفلسفة إلى الدين، أو استبدال أحدهما بالأخر، وإنما بيان كيف يمكن القيام بالتوفيق بينهما، والتأكيد على أهمية كلاهما للتعبير عن جوانب الحياة النفسية والروحية.

٣- مؤلفاته.

يعد "جوزايا رويس"، من ضمن فلاسفة المثالية الذين لهم إنتاج غزير في تأليف الكتب؛ حيث كانت هذه المؤلفات أكاديمية ومتخصصة في مجال الفلسفة بوجه عام، والفلسفة المثالية بوجه خاص، ومن ضمن هذه المؤلفات: "أهمية التحليل المنطقي(١٨٨١م)، الجانب الديني للفلسفة(١٨٨٥م)، دراسة للشخصية الأمريكية (١٨٨٦م)، روح الفلسفة الحديثة (١٨٩٢م)، مفهوم الله(١٨٩٧م)، دراسات في الخير والشر(١٨٩٨م)، العالم والفرد(١٩٠٠م-١٩٠٢م، جزأين)، مفهوم الخلود(١٩٠٠م)، الوضع الحالي لمشكلة الدين(١٩٠١م)، مدخل إلى علم النفس(١٩٠٣م)، علاقة مبادئ المنطق بأسس الفلسفة(١٩٠٥م)، فلسفة الولاء(١٩٠٨م)، مشكلات الجيل ومشكلات أمريكا (١٩٠٩م)، وليم جيمس ومقولات أخرى عن فلسفة الحياة(١٩١١م)، مصادر البصيرة الدينية(١٩١٢م)،مبادئ المنطق(١٩١٢م)،مشكلة المسيحية(١٩١٣، جزأين)، الحرب والتأمين(١٩١٤م)، ودراسات أخرى" [٢].

هذا عن مولده ونشأته ومنهجه وأهم مؤلفاته، وأما حديثي عن النزعة المثالثية في فلسفة "جوزايا رويس"، فلما له من مكانة مهمة ورفيعة بين فلاسفة العالم الأوربي بكونه واحدًا من أهم فلاسفة المثالية المعاصرين في أمريكا في القرن التاسع عشر، وهذا ما أتناوله بإذن الله تعالى في ثنايا البحث.

(١) أ. روني إيلي ألفا: أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج١، ص٥٠٩-٥١١.
(٢) عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، نشر دار المدى، بيروت، ٢٠١٩م، ج١، ص٥٤٤.

المبحث الأول

النزعة المثالية في الحقيقة الوجودية والاعتقاد الديني

تتضح النزعة المثالية في فلسفة "جوزايا رويس"، من خلال القول بالحقيقة الوجودية والاعتقاد الديني ، فالفلسفة والدين كلاهما يسعيان إلى تأسيس حقيقة نهائية يطمئن لها الإنسان، ولأجل هذا الاطمئنان: "فقد لعب الدين دورًا مهمًا في تاريخ الفلسفة، حتى قيل أنّ الفلسفة ولدت من رحم الدين، لأجل أن تضع حقائق الوجود بقدر العقل البشري، وكذلك لأجل وضع طريقًا خاصًا وإنسانيًا لخلاصه في هذا العالم" (١).

ومهمة الدين عند "جوزايا رويس": "هي تحرير البشر من وزر كبير، ومن النقص، والخرافة، والشر والبؤس والرذيلة"(٢).

ويرى " جوزايا رويس"، أنّ هناك ثلاثة مفاهيم مختلفة في أدبيات الدين الطبيعي، بحيث يعتبر المفهوم الأول منها – الدين الطبيعي -بحثًا فيما قد يسمى: "الطريق إلى معرفة الله من خلال الطبيعة" (٣).

ومن خلال مفهوم الدين الطبيعي:" نشرع في البحث عن الحلول التي يمكن أن تقدمها التعميمات التي يطلقها العلم الطبيعي بالنسبة للواقع الخارجي لمشكلات الدين، وينظر المفهوم الثاني من هذه المفاهيم الثلاثة للدين ليس بوصفه مذهبًا أو نظرية يمكن إثباتها من دراسة العالم الطبيعي، بل باعتباره نوعًا من الوعي أو الشعور له قيمته الخاصة والمميزة من بين مراتب الشعور المختلفة لطبيعتنا الإنسانية، حيث يفهم الإنسان على أنه متدين بالطبع، وتشتاق طبيعته إلى الدين، وينظر لهذا المفهوم كنوع من الإيمان الذي يتم تقدير قيمته استنادًا إلى الوعي الباطني والإحساس الشعوري لمن يحتاجون إليه وبوصف الخبر

---

(١) روبرت سلمون : الدين من المنظور الفلسفي، ترجمة، حسون السراي، نشر دار المعارف للمطبوعات ، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م ، ص٢٣.

(٢) جو زايا رويس : مصادر البصيرة الدينية، ترجمة، أحمد الأنصاري، مراجعة، د.حسن حنفي، نشر المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م، ص٢٠.

(٣) جوزايا رويس : العالم والفرد الطبيعة، المفاهيم الأربعة التاريخية في الوجود، ترجمة، أحمد الأنصاري، مراجعة، د.حسن حنفي، نشر المركز والمشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م، ج١، ص٢١-٢٢.

الدنيوية للبشرية، أما المفهوم الثالث من مفاهيم الدين الطبيعي مع الفلسفة الأساسية للدين، فأصبح البحث في طبيعة الأشياء في ضوء البحث النقدي الدقيق في عقولنا يمثل الموضوع الرئيسي للدين الطبيعي"(١).

ويرى "جوزايا رويس"، إن الاتجاه الذي يدرس هذه المشكلات لابد له أن :"يتناول المشكلات التي تناولتها ميتافيزيقا "أرسطو"، ونظرية العلم عند "فيشته"، ومنطق "هيجل"، بل كلّ الفلسفات التي نظرت إلى تاريخ الفلسفة كمحاولة لدراسة الوجود بوصفه موجودًا أو كما هو موجود"(٢).

وعلى هذا ووفقًا للمفهوم الأول – أي مفهوم الدين الطبيعي– فإن "جوزايا رويس"، يرى أنه : "علىّ الباحث في الدين الطبيعي أن يقبل المعرفة السائدة في عصره بوصفها معرفة صحيحة وصادقة، ولا يحاول التعمق في أسس هذه المعرفة، وأن يسعى لتفسير الطبيعة الخارجية في ضوء الاهتمامات الدينية، وأما المفهوم الثاني فينظر للدين الطبيعي بصفته صوت الطبيعة الإنسانية ذاتها التي تحتاجه للتعبير عن إيمانها وتنشر مثلها العليا، وتشبع حاجياتها، واستشارة إرادتها، لأنّ من يؤمن بهذه الحقيقة الدينية يكون وعيه الديني واضحًا بذاته لا يحتاج إلى تبرير، وأما المفهوم الثالث: فإنّ دارس الدين الطبيعي لا بدّ له من التعامل مع المشكلات الميتافيزيقية الرئيسية، أي يعد الباحث ناقدًا لأسس الإيمان، وكذا الطرق والمناهج التي تنظر بها طبيعة الحقيقة للواقع"(٣).

إذن هناك اختلاف في المفاهيم الثلاثة حول مفهوم واحد وهو الدين الطبيعي، إلا أنها في النهاية تصب في قالب واحد وهي الاهتمام بالدين، كما أنها تبرز التماثل والانسجام بين النظام الطبيعي والمذهب الديني.

ومفهوم الوجود يكون واقعًا ويختلف أو يتعارض مع ما قد تقترحه أفكارنا اللحظية في لحظة معينة، فيظهر الوجود دائمًا في هذا الصراع وفي ظل عدم اكتمال الوعي: "بوصفه

(١) جوزايا رويس: العالم والفرد الطبيعة، المفاهيم الأربعة التاريخية في الوجود، ج١، ص٢١-٢٢.
(٢) المصدر نفسه: ج١، ص٢١-٢٢.
(٣) المصدر نفسه: ج١، ص٢٢.

ذلك الواقع الذي نفترضه مقدمًا قبل أي تعريف أو تحديد معين ولكن تبقى الواقعة والفكر أو الواقع المباشر والفكر، هما العاملان الرئيسيان الذي يؤدي الصراع بينهما إلى تحديد مفهومنا عن الوجود وما يوصف بالواقعية"(١).

فالوجود معناه الظهور في العالم الخارجي بما يعبر عن المعنى الباطن الكامل الذي تتضمنه وحدة فكرية منظمة (٢).

وفكرة "جوزايا رويس"، هي أنه ليس ثمة فلسفة تقنع إذا كانت مرغمة على أن تؤكد مجرد الوجود في مقابل عجزها عن تعيين ماهية ذلك الموجود فماهية أي شيء، ماهي إلا معنى ذلك الشيء (٣).

ويرى "جوزايا رويس"، أنّ المفاهيم الرئيسية للطبيعة النهائية للوجود، أو ما يطلق عليه "رويس"، "المحمول الوجودي": "ما هو إلا تفسير لفلسفة الدين نفسها، إذ إن الحكم بأن الله موجود أو العالم موجود أو كما قال ديكارت René Descartes أنا أفكر إذن أنا موجود، يتضمن معرفة معني الوجود أو معرفة ما يتضمنه المحمول الوجودي ذاته" (٤).

وكما يرى "جوزايا رويس"، أن معظم الأديان الشعبية – يقصد بها الأديان الوضعية والسماوية– ترى أن الاعتراف بوجود الله أهم من معرفة طبيعته، فبالتالي لن يجد من يختلف معه من أصحاب العقول التقليدية، في حين أن هؤلاء الناس أنفسهم قد يتهمون بالإلحاد لمجرد شعورهم بتشكيك بوجود الله ولو بدرجة ضئيلة؛ أي أنّ الفكر الديني الشعبي ليس قائمًا على أساس عقلي بل يستند على غرائز دفينة وعميقة في الطبيعة الإنسانية" (٥).

ومن هنا يوضح لنا "جوزايا رويس"، أنّ الإشكالية تكمن في أنّ المرء حقيقة لا يستفيد

---

(1) Jasiah Royce : the world and the endviual .part tow.1901.dover.p58.

(٢) أبراهام وولف: فلسفة المحدثين والمعاصرين، ترجمة ، ابو العلاء عفيفي، نشر لجنة الترجمة والتأليف، القاهرة، ط٢، ١٩٣٦م، ص٦٣.

(٣) جونثان ري، وآخرون: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة، فؤاد كامل، وآخرون، نشر المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م، ص١٨١.

(٤) جوزايا رويس: العالم والفرد الطبيعة، المفاهيم الأربعة التاريخية في الوجود، ج١، ص٢٧-٢٨.

(٥) المصدر نفسه: ج١، ص٢٧-٢٨.

كثيرًا من الاعتقاد في وجود شيء معين لا يعرف صفاته: "إلا أنّ الإعجاب بما هو غير قابل للمعرفة في اللاهوت، يتم تدعيمه إلى حد كبير بالشعور الناقص، فبمجرد الحكم بوجود كائن معين أو بوجود الله أكون قد نسبت إليه صفات".

وهذه الصفات يكون تعريفها كما يرى "جوزايا رويس":"متضمنًا في الحكم المجرد"(١).

حيث تظهر لنا المحمولات الوجودية قيمة نسبية، وقد يتمكن الفرد من صياغة مفهوم نهائي لمعنى المحمولات الوجودية، وينتج لنا مفهوم جديد لله، وتصور جديد للعلاقة بين الله والعالم والفرد الإنساني، وبالتالي يتم وضع أسس جديدة للدين الطبيعي.

وهنا يطرح"جوزايا رويس"سؤالًا هامًا، ما هي المفاهيم التاريخية للوجود؟.

ويجيب "جوزايا رويس"، ويرى: " أن هناك أربعة مفاهيم رئيسية للوجود في الفلسفة "(٢).

وقبل أن يعرض "جوزايا رويس"، لمفهومه الرابع الذي هو المفهوم المثالي للوجود، يعرض لنا ثلاثة مفاهيم؛ يرى أنها ظهرت في تاريخ الفكر الفلسفي، ولاحظ أن مفهوم الوجود في اللغة الشعبية لا يتركنا تحت رحمة التمييز بين "المحمول الوجودي"، والمحمولات الأخرى أو كما يسميها "كانط"، المحمولات الحقيقية للموضوعات، كما ظهرت العديد من الطرق التي تشير إليه اللغة الشعبية للوجود حيث يصعب فهم الفلاسفة فهمًا صحيحًا إذا فشل المرء في معرفة مصدر مفاهيمهم ولغتهم وما تحمله من قواعد نحوية ، وقد عرض "جوزايا رويس"، لثلاثة مفاهيم فقط نظرًا لأهميتها في تحديد المفهوم الوجودي، وهي على النحو التالي:

أولاً: المفهوم الواقعي لما هو موجود

من مفاهيم الوجود كما يرى "جوزايا رويس"، مفهوم "المذهب الواقعي" ، الذي يؤكد على استقلال الواقع عن الخبرة أو الفكرة التي تشير إليه، وأنّ الاستقلال هو جوهر

(١) جوزايا رويس: العالم والفرد الطبيعة، المفاهيم الأربعة التاريخية في الوجود: ج١، ص٢٧-٢٨.
(٢) المصدر نفسه:ج١، ص٥٩.

الواقع، حيث يقوم بالفصل بين الوجود والماهية أو كما يقول "جوزايا رويس": "بين "ماذا"، و"هذا"، بالنسبة للموضوع الموجود أو "المحمول الوجودي"، ولم يحدد التعريف الواقعي بصورة مسبقة أي الموضوعات التي تتصف بالوجود، فيجب التمييز بين الموضوعات الواقعية وغير الواقعية، فقد تعدّ القيم العليا والأوهام والكائنات الخرافية موضوعات غير موجودة، وقد تثبت الخبر ماهيتها، وبالتالي يمكن القول بأنّ الموضوعات الخيالية تعتمد على الأفكار والآمال والأحلام التي قد تتصورها، كما أنّ معنى "المحمول الوجود"، في هذا المفهوم الأول، يعتبر المادة والروح من الأشياء الواقعية" (١).

ويشير "جوزايا رويس": "إلى العديد من الكائنات من النمط الواقعي التي ظهرت في الفلسفات الواقعية والتي أيضًا ظهرت عبر تاريخ الفلسفة، فهناك على سبيل المثال "الواحد الأيلي للمدرسة الإيلية"(٢). و"كثرة إنباذوقليس"، و "ذرات أبيقور"، وكل عالم الكائنات المخلوقة في اللاهوت المدرسي بوصفها مستقلة عن الله"(٣).

وكل الكائنات الأخلاقية في كل المذاهب الميتافيزيقية الحديثة، فكل هذه الأنواع المختلفة في القيمة والأوصاف من الموضوعات المدركة، يمكن اعتبارها وفق المفهوم الأول للوجود كائنات واقعية، حيث يعتبر"جوزايا رويس"، كلّ هؤلاء الفلاسفة واقعيين.

ويؤكد"جوزايا رويس": "من جهة أخرى أنّ المفهوم الأول للوجود لا يطابق أيّ تعريف من التعاريف الشعبية للوجود، حيث أصبحت الذرات غير قابلة للرؤية المباشرة، ولا نعرف الواحد الأيلي إلا بالعقل، وكائنات "هربرت جورج ويلز ت ١٩٤٦م"، الواقعية غير قابلة للمعرفة .كما أن المفكرين الذين طبقوا هذا المفهوم اعتمدوا على العقل ولم يتجهوا

---

(١) جوزايا رويس : العالم والفرد الطبيعة، المفاهيم الأربعة التاريخية في الوجود، ج١، ص٦٠.

(٢) **المدرسة الإيلية**: يعتبر بارمنيدس، وزينون، الإيطاليين، هما أول من أسس هذه المدرسة، ويرى البعض، أن كزينوفانيس هو المؤسس لهذه المدرسة ، وتبحث هذه المدرسة في البحث فيما وراء هذا العالم الطبيعي؛ أي البحث في الوجود وماهية(ينظر: د. مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، نشر دار قباء الحديثة للطباعة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧م، ص ١٦٥-١٦٧. وينظر: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، نشر دار العالم العربي، بيروت، ط٢، ٢٠١٢م، ص٢٥. وينظر: د. محمد غلاب: الفلسفة الإغريقية، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٧١م، ج١، ص٧٨).

(٣) جوزايا رويس: العالم والفرد الطبيعة، المفاهيم الأربعة التاريخية في الوجود، ج١، ص٦١.

للرؤية الحسية أو استندوا إلى أيّ صورة من الصور التي تعتبرها الميتافيزيقا الشعبية كافية للتعبير عن المفهوم الوجودي"(١).

ويأتي التعريف الأول للوجود مركبًا من المفاهيم الشعبية الثلاثة مع التركيز على المفهوم الثاني الذي يرى أنّ الوجود يكون وراء خبرتنا المباشرة أو تحتها.

وينقد "جوزايا رويس"، المفهوم الواقعي، و يرى: " أنّ المذهب الواقعي يناقض نفسه بنفسه، ولا يحتاج إلى نقد من الخارج فتعريفه للوجود يتصف بصفتين متناقضتين الأولى تفترض الدوام والثبات، والثانية تفترض التفسير العلي للكائنات، كما أنّ عالم الحقيقة لا يكون مستقلًا عن المعرفة وعن الأفراد، ويقع في قلب خبراتهم المحدودة، إنه عالم لا تنفصل فيه الأفكار أو الأحداث عن الذات العارف أو عن الوقائع الأخرى في الكون، إنه عالم تتوحد فيه الكائنات الروحية والمادية، ولا وجود لكائنات حيادية، فكل كائن يؤثر على الكائنات الأخرى"(٢).

وعلى ما سبق فإن المذهب الواقعي يتطلب سلوكًا عقليًا تجاه الوصول إلى الحقيقة، فدائمًا ما تفترض الفلسفة الواقعية وضوح الأسس الميتافيزيقية التي تستند عليها.

ولقد بنى"جوزايا رويس"، نقده للمذهب الواقعي على فكرة "أنّ الفيلسوف الواقعي بسعيه إلى استقلال الموضوعات ينتهي إلى تدمير صميم المعرفة، فجاء رد سريع وقوي من جانب اثنين من الفلاسفة الواقعيين كانا من تلاميذه السابقين في "جامعة هارفارد"، هما "رالف بيري ت ١٩٥٧م"، و "ريتشارد مونتاجيو ت ١٩٧١م"، حيث رد"مونتاجيو"، بمقال سنة ١٩٠٠م في مجلة الفلسفة الأمريكية لجامعة هرفاد، تحت عنوان "دحض الأستاذ رويس للواقعية"، ثم "بيري"، بمقال أصدره بمجلة "ذي مونست الأمريكية"، عام ١٩٠١م، تحت عنوان "دحض الأستاذ رويس للواقعية والتعددية"، وهو موقف مشترك من كليهما ضد المثالية"(٣).

(١) المصدر نفسه: ج١، ص٦١-٦٢.
(٢) أحمد الأنصاري : فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص١٤٤.
(3) Herbert schmider, history of American philosophy, formbooks,

حيث اتهم "بيري"، فلسفة "جوزايا رويس"، بالذاتية بمقالة مهمة بعنوان: "مأزق التمركز حول الذات "[١]. بين فيها موقفه من "جوزايا رويس"، والمثالية عامة التي أفاض في بيان أخطائها وزيفها.

ثانيًا: المفهوم الصوفي

من مفاهيم الوجود أيضًا "المفهوم الصوفي"، حيث بدأ التصوف في الهند – على مايرى جوزايا رويس– وانتقل بعدها إلى أوربا حيث تم اكتشافه في محاورات "أفلاطون"، والتي احتوت على البعض من صوره، كما أن تفسير الحياة الباطنية لله عند "أرسطو "،جاء قائمًا على مدلول صوفي، وشكل بعدها التصوف عنصرًا مهما عند "أفلوطين اليوناني ت٢٧٥م "، حين امتزج ببعض مفاهيم الفلسفة الواقعية ، والمذهب المثالي ، وانتقل إلى اللاهوت المسيحي من خلال الأفلاطونية الجديدة، كما أثر في الفلاسفة المدرسيين فحاول القديس "توما الأكويني ١٢٢٥م–١٢٧٤م Thomas Aquinas"[٢]. الإفادة من مزايا التصوف دون الإخلال بمبادئ المذهب الأرثوذكسي، وانتقل التصوف إلى ألمانيا في اللاهوت "البروتستانتي"، حيث ازداد نشر مبادئه بين العلمانيين، ويعد "شوبنهور"[٣]. أحد النماذج الحديثة لتأثير التصوف في المذهب الفلسفي" [٤].

ولا تكمن القيمة التاريخية للتصوف في نظرته في الموضوع الذي يطلق عليه المحمول الوجودي، وإنّما في نظرته العميقة للمحمول الوجودي ذاته، فلا يهتم الصوفي

New York 1957, p 355.

(١) أحمد عبد الحليم عطية: القيم في الواقعية الجديدة، نشر دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٣١.

(٢) **توما الأكويني:** هو القديس توما الأكويني، فيلسوف لاهوتي من أصل إيطالي، ولد عام ١٢٢٥م، بقصر روكازيكا روكازيكا قرب أكوينو بإيطاليا، فلسفته التمييز بين العقل والإيمان، وضرورة توافقهما، وأن الفلسفة تستند بشكل أساسي عل العقل، من مؤلفاته، الخلاصة اللاهوتية، الشروح على أرسطو، كتاب العلل، وغيرها، توفي عام ١٢٧٤م. (ينظر: أ. روني إيلي ألفا: أعلام الفلسفة العرب والأجانب، قدم له، الرئيس شارل حلو، ج١، ص٣٣٨-٣٤٠) .

(٣) **شوبنهور:** هو آرثر شوبنهاور، فيلسوف ألماني ، عرف بفلسفته التشاؤمية، ولد عام ١٧٨٨م، بألمانيا، وتوفي بها عام ١٨٦٠م، ومن مؤلفاته فن العيش الحكيم، فن أن تكون دائمًا على صواب، العالم غرادة وتمثلًا، وغيرها من المؤلفات(ينظر:آوثر شوبنهاور، فن ان تكون دائمًا على صواب، ترجمة د. رضوان العصبة، مراجعة وتقديم، د. حسان الباهي، منشورات الاختلاف ، الرباط، الجزائر ، ط١، ١٤٣٥هـ ، ٢٠١٤م، ٩-١٢.

(٤) جوزايا رويس : العالم والفرد الطبيعة، المفاهيم الأربعة التاريخية في الوجود، ج١، ص٧١-٧٢.

بوجود الموضوع، بل بالمحمول والحكم الحملي .إنّ الوجود عند الصوفي يعني ما يكون وجوده وجودًا مباشرًا نقيًا، حيث يرى أنّ خلاص الفرد الأبدي يعتمد على هذا النقاء المجرد للمحمول الوجودي، كما أنه يجعل من الخبرة كوسيلة لتعريف الواقع، فحصوله على الفكرة يكون بالخبرة لا من الفكر"(١).

الصوفي كما يصفه "جوزايا رويس": "بأنه التجريبي الأصيل في تاريخ الفلسفة، والوجود عند الصوفي يتم الشعور به مباشرة، كما أنه لا بد من أن يكون الوجود واحدًا، لأن التعدد يحتاج إلى التفكير، وكل ما تم الاقتراب من معرفة الواحد يقبل التعارض بين الأشياء في العالم، لأنّ التعدد وهم، وتتوقف معرفة الفرد لذاته ولا يشعر إلا بالمطلق، لأنّ اكتشافه للوجود يتضمن نسيان الذات أو أن نصبح حلمًا أو وهمًا، فيسعى الصوفي لتحطيم الفصل بين الواقع والمرغوب فيه"(٢).

ويؤكد التصوف أنّ الوجود يعني ببساطة ما يكون مباشرًا وما نسميه لوناً خالصًا وصوتًا خالصًا، وعاطفة خالصة، تكون كلها موجودة مباشرة، ولكن وجودها يكون جزئيًا وناقصًا، وعلى هذا يمكن القول من خلال المقارنة بين المفهوم الصوفي للوجود والمفهوم الواقعي: "أن كلاهما متشابهان منطقيًا، وكلاهما مجردان، كما أنّ لهما تاريخ طويل، ويعبر كلّ منهما عن جزء من الحقيقة الكلية للوجود، كما أنه لا يمكننا الحكم عليهما إلا من خلال التحليل الأنطولوجي المباشر والنقدي لكل مذهب"(٣).

ولكن الإشكال الذي تقع فيه الصوفية كما يرى "جوزايا رويس": "يتمثل في اعتبار الحياة وهم، والأفكار مزيفة وبالتالي يصبح المطلق هو العدم، فحياة الإنسان محدودة فعلًا، لكنه يستطيع في بحثه أن يعرف شيئًا عن الوجود، وعندما يعرف هدفه بالسلب، ويعتمد على المقارنة ويجد أنّ المطلق هو غياب المحدود، فهنا يتساوى المطلق مع العدم"(٤).

(١) أحمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص١٤٧.
(٢) المرجع نفسه: ص١٤٧.
(٣) جوزايا رويس: العالم والفرد الطبيعة، المفاهيم الأربعة التاريخية في الوجود، ج١، ص٧٥.
(٤) المصدر نفسه: ج١، ص٧٥.

ثالثًا: المفهوم العقلي النقدي

من مفاهيم الوجود أيضًا "المفهوم العقلي النقدي"، الذي يرى أنّ الوجود أو ما هو كائن هو:" ما يمكن ملاحظته تحت ظروف معينة، وما يؤكد صحة هذه الأفكار هو جعل الخبرة أو التجربة هي التي تحدد هذه الأفكار وتجعل من التجربة ممكنة، فإذا كان لدى الفرد أفكار معينة، ولم تقدم الخبرة لها كل معناها، وحاول البحث عن صلتها بالوجود، فإنه يجعل من الوجود معيارًا لصحته أوخطأ أفكاره، وبالتالي يوحد هذا المفهوم بين الواقع والمصداقية، كما ينفي مهمة البصيرة في معرفة حقيقة أي عالم مستقل، بل تكمن قيمتها في إعطاء عالم وحدة معقولة للعالم الظاهر، ولا يكون عالم هذه المبادئ أو محملوها الوجودي مستقلًا أو وهمًا أو واقعًا روحيًا، بل عالم مبادئه واضحة لكل الناس، ولا توجد إلا كائنات بالقوة، وقوانين ونظم للحقيقة وموضوعات تبدو كما لو كانت في الحقيقة واقعية، فلا يطلب من الإنسان أن يثبت أنّ الله موجود، ولكن عليه أن يسلك كما لو كان موجودًا، فالله عندهم إما أن يكون موجودًا بالقوة، أو لا وجود له على الإطلاق"(١).

وبسبب تميز المفهوم الثالث للوجود بالعنصر العقلي التأملي دائمًا ما يظهر من الناحية التاريخية بوصفه نتاجًا مباشرًا للنقد الموجه إلى المذهب الواقعي، فقد استمدت الحجج السلبية التي قال بها الفيلسوف الإيرالندي "جورج بركلي ت١٧٥٣م". قوتها من مجموعة من التعليقات المنتشرة عن طبيعة الخبرات التي نتعرف على الوجود بها .وحلل الصفات الأولية والثانوية التي نسبها كثير من الواقعيين للمادة، إلى مجرد مركبات من المعطيات الحسية المباشرة والبناء المثالي، والحقيقة أنّ البرهان الذي يستند عليه المفهوم العقلي النقدي للوجود برهان من الصعب دحضه، حيث يرفض المفهوم الثالث للوجود تجاهل الوعي وهذا العنصر التجريبي الذي يكون حاضرًا أينما يتم الحكم بالوجود بوصفه الضمان الوحيد الممكن لأي حكم وجودي، وإنّا يوصف بالوجود لابد أن يكون محققًا لمعنى الفكرة التي تشير لهذا الشيء تحققًا تجريبيا "(٢).

(١) أحمد الأنصاري : فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص١٤٧.
(٢) جوزايا رويس: العالم والفرد الطبيعة، المفاهيم الأربعة التاريخية في الوجود، ج١، ص١٩٧.

إذن فالمفهوم "العقلي النقدي"، يرى أن الإعلان عن وجود موضوع معين أو أي موضوع واقعي، يعني أنّ لديه فكرة معينة دقيقة كانت أو غير دقيقة زائلة أو كلية وتنسب لها أهمية وقيمة غائية، طالما تحكم بأنّ هذه الفكرة حقيقة وصحيحة، بمعنى آخر تكون متوافقة مع غايتها المثالية.

كذلك يؤكد الفيلسوف "العقلي النقدي"، موقفه هذا بمجموعة من الحجج، من أهمها أنّ الموضوعات الاجتماعية والأخلاقية والرياضية دائمًا ما يكون لها وجود موضوعي، حتى وإن أدركت من طرف الفرد، فعالم الرياضيات مثلًا عندما يضع معادلة رياضية بفعل بنائي حر يدرك بمجرد بنائها أنها تنتمي لعالم أزلي، ولكنه في الوقت نفسه يرى أنّ وجودها ليس مثل ذرات و"جوتفريد ليبنتز١٦٤٦م-١٧١٧م Gottried Leibniz"[١]. وإنّما توجد كحقيقة صادقة أو كفكر ممكن التحقيق، كما يرى "جوزايا رويس": "أن هذا المفهوم الوجودي يعود إلى"أفلاطون"، كما يظهر لنا أيضًا في نظرية "أرسطو"عن الوجود الممكن عندما صرح أنّ الممكنات عبارة عن أفكار، ويظهر هذا المفهوم عند كل من "أوغسطين"، و "أنسلم"، في البرهان الأنطولوجي على وجود الله، وفي نظرية "توما الإكويني"، عن طبيعة الله، وفي نظرية الخبرة الممكنة "لكانط""[٢].

حيث ميز "كانط"، بصورة حاسمة: "بين قسم الخبرة الممكنة والعالم الواقعي من جهة وبين العالم الصوفي المحدود المستسلم للذات من جهة أخرى، وحين رفض الفيلسوف الألماني المثالي "أفيناريوس ت ١٨٩٦م"، الحقيقة المطلقة ووصل في الأخير إلى النظر للوجود بنظرة تشبه مفهوم "جوزايا رويس": الثالث للوجود "[٣]. أي المفهوم العقلي النقدي.

ومن هنا فإنّ هذا المفهوم يعني أنّ الوجود الحقيقي هو الذي تكمن واقعيته في مصداقيته، كما أنّ قيمة الأحكام فيه تكمن في جعله للأحكام الصادرة عنه أحكاما صحيحة.

---

(١) **جوتفريد ليبنتز:** هو غوتفريد ويلهلم لايبنتز، فيلسوف ألماني، ولد عام ١٦٤٦م، في لايبزيغ بألمانيا، فلسفته، تأثر بفلسفة أرسطو وديكارت فجمع بينهما في فلسفة تؤمن بمقدرة العقل وبوجود قوة ودينامية في الكون، من مؤلفاته، مقالة فلسفية حول الإدراك الإنساني، مبادىء الطبيعة والنعمة، المونادولوجيا، وغيرها، توفي عام ١٧١٧م. (ينظر: أ. روني إيلي ألفا: أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج٢، ص٣٥١-٣٥٢).

(٢) أحمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص١٤٨.

(٣) جوزايا رويس : العالم والفرد الطبيعة، المفاهيم الأربعة التاريخية في الوجود، ج١، ص١٩٢.

ويتميز المفهوم "العقلي النقدي"، بحسب وجهة نظر "جوزايا رويس"، بصفتين الأولى:" أنّ الوجود الحقيقي هو الوجود الكلي. والصفة الثانية: هي أنّ هذا المفهوم يطابق بين الوجود والممكن، أي ما يمكن ملاحظته تحت شروط معينة، أي أنّ الخبرة الحسية تحقق مصداقية أي فكرة بمجرد رؤيتها واختبارها، فتحصل على معناها وحياة فردية، ولكن عالم الوجود ككل تظهر هذه الفكرة على أنها كلية وعامة: "فهل يمكن وجود نوعين من الوجود، يكون كلاهما معروفاً باعتباره صحيحًا، بحيث يكون أحدهما فرديًا تجريبيًا وحياة حسية، والآخر يكون ممكنًا صوريًا "[1].

ومن خلال عرض"جوزايا رويس"، للمفهوم العقلي النقدي للوجود، يتضح لنا أنّ إشكالية هذا المفهوم تتمثل في تعريف الحقيقة أو عالم المصداقية .فإذا كان العقليون النقديون ردوا الوجود إلى الحقيقة، فلا بدّ من معرفة ما الذي يُكِّون أو يشكل الحقيقة في حدّ ذاتها.

إذن يتضح مما سبق وببيان ما قام به "جوزايا رويس"، من العرض والدراسة والتحليل والنقد ، بتقديمه للمفاهيم الثلاثة للوجود، والتي لم يكن أيًا منها صالحًا في نظره لكي يكون تفسيرًا صحيحًا للوجود، ولئن اكتفى "جوزايا رويس"، بثلاثة اتجاهات رئيسية، تصور أنها تمثل كل الأفكار التي تناولت الوجود، ولم يبرر أيضًا سبب اكتفائه هذا، إلا أنه من الواضح أنّ سبب الاكتفاء راجع إلى أنّ جميع المذاهب السابقة ناقشت الوجود من ناحية العلاقة بين الفكر والموضوع،أو الفكر والواقع، وبقيت كلها تدور في منحى واحد ولم تخرج من هذا المقياس الضيق من نظرية المعرفة فقال "المفهوم الواقعي"، بالوجود الفردي للذات العارفة، وأحال "المفهوم الصوفي"، الخارج إلى العدم وأنه لا موضوع إلا أنت، ولا وجود حقيقي إلا للمطلق، ورفع "المفهوم العقلي النقدي"، من شأن الفكر، وجعل الواقع محققًا لمصداقية الأفكار، أي أنه وحد بين الوجود والحقيقة.

وعلى ما سبق عرضه فقد انتهى "جوزايا رويس"، إلى أنّ هذه المفاهيم التاريخية كلها ترد الوجود لعلاقة الفكر بالواقع، والحقيقة بالوجود، والكلي بالفردي فقام "جوزايا

(١) أحمد الأنصاري : فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص١٤٩.

رويس"، بتكوين مفهوم جديد للوجود مركبًا من هذه المفاهيم، وهنا تظهر لنا فلسفة "رويس"، التوفيقية وأطلق عليه "المفهوم الرابع للوجود"، أو "المفهوم المثالي للوجود".

رابعًا: المفهوم الرويسي المثالي للوجود

هذا المفهوم هو الذي ارتضاه "جوزايا رويس"، واعتبر أنّ دراسته لابد أن تتحدد بمعلمين أولهما: دراسة نظرية الأفكار، والثاني: يتم بتوضيح الصلة بين الحقيقة والوجود، ويرى"جوزايا رويس"، أيضًا: "أنّ تعريف الحقيقة له شقين أساسيين يبنى عليهما؛ يخص الأول منهما الأحكام وطبيعتها حيث يلاحظ أنّ أحكام الصدق لحقيقة ما وبالرغم من ذاتية الحكم فإنها تحتوى على نصيب موضوعي، ويتعلق الثاني بالمطابقة بين الأفكار والواقع، حيث نجد دائمًا الكثير من التساؤلات التي تطرح بهذا الشأن، هل العلاقة بين الفكر والواقع علاقة سببية أو علاقة تماثل وتناظر؟"(١).

فإذا كان "المفهوم العقلي النقدي" للوجود قد عرف الوجود بأنه: ما يحقق للأفكار الصحيحة مصداقيتها، فإنه يمكن صياغة "المفهوم الرابع للوجود"، بأنّ ما يوجد أو ما هو واقعي هو الذي يشكل التعبير والتجسيد الكامل، وفي صورة فردية وتحقق نهائي، للأهداف والمعاني الباطنية للأفكار المحدودة (٢).

وعلى هذا فإننا نجد اتفاق "المفهوم الرابع"، نوعًا ما مع "المفهوم الصوفي"، ولو في القليل من جوانبه، حين يؤكد هو الآخر على: "أنّ عالمك هو أنت وكل ما هناك أنّ الذات التي تشكل عالمك هي ذاتك المتكاملة والنهائية، ومجموع الحياة التي تدرك إحدى لحظاتها الآن أو تمثل لحظة من لحظاتها الجزئية، ولا يعدّ النقص الذي تشعر به إلا صورة من صور وعيك في هذه اللحظة"(٣).

(١) أحمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص١٥١.
(٢) المرجع نفسه: ص١٥٣.
(٣) جوزايا رويس: العالم والفرد الطبيعة، المفاهيم الأربعة التاريخية في الوجود، ج١، ص٢٦٩.

ويمكن أن نستخلص هذا المفهوم من خلال المفاهيم الثلاثة التاريخية للوجود، فالوجود هو" الآخر " الذي تسعى إليه الأفكار، ولكنه لا يكون مستقلًا عنها أو مجرد واقعة تطفئ الأفكار، أو مجرد ضمان لإثبات مصداقيتهم.

كما "أنّ المفهوم الرابع" للوجود يتسق مع المفهوم الواقعي للوجود، وبالضبط في القول أنّ للموضوع سلطة على الفكرة، وبأنّ ما يوجد لا بدّ وأن يكون فرديًا ويختلف معه في تحديد معنى الفردية، كما يتسق أيضًا هذا "المفهوم المثالي" مع "المفهوم الصوفي"، في القول بأن الوجود هو الذات أو هو "أنت"، وإن اختلفوا في تحديد معنى الذات، كما يتفق مع "المفهوم العقلي النقدي"، في أنّ الوجود يتضمن بالضرورة ما يحقق للأفكار مصداقية .

وبهذا نجد "جوزايا رويس"، قد ضمّ لمفهومه الخاص للوجود عنصرًا من كلّ مذهب من المذاهب الثلاثة، فالوجود الحقيقي يشبه فكرة مقصودة من وعي معين، وهناك علاقة غائية بين الفكرة والموضوع الذي يقصد تحديده ويحقق معناه الداخلي والخارجي، وبالتالي يمكننا القول بأن "جوزايا رويس"، قد نجح في التوفيق بين المفاهيم الثلاثة في شكل مفهوم واحد وهو المفهوم المثالي.

لقد حاول "جوزايا رويس"، أن يوضح العلاقة بين العقائد الدينية والمسائل الفلسفية التقليدية بإقامة نظرية فلسفية عامة للوجود، فلا يتم توصيف العلاقة بين الدين والفلسفة بصورة دقيقة إلا من خلال طريق واحد يبدأ من الدين أو من الفلسفة، بحيث يساهم كلًا منهما في بناء الآخر، لذا نجد النزعة المثالية في فلسفته أغلبها توفيقية، حيث إنّ مذهبه "النزعة الإرادية المطلقة"، والذي أطلق عليه فيما بعد "البرغماتية المطلقة"، يعدّ من أهم المذاهب التي تقدم الحلول المنطقية والأساسية لمشكلة الوجود .حيث تبرز لنا فلسفة رويس التوفيقية، فحاول أن يقدم نزعته الفلسفية للدين من خلال معالجة المشكلات المسيحية معالجة فلسفية، وكذا التوفيق في هذا الحل بين الفلسفة والدين وبين مختلف المفاهيم الوجودية المعروفة، من مفهوم عقلي، ومفهوم واقعي،ومفهوم صوفي وأخيرًا المفهوم المثالي.

إنّ النقد الذي نوجهه للفلسفة "الرويسية"، أنها فلسفلة تنزع إلى النسق المنغلق خاصة ما نجده في الأنساق النظامية في المنطق الرويسي، كما أنها ألبست لكل عقل جبة المطلق، وتحويل الفلسفة إلى لوح محفوظ من خلال فلسفة الولاء والولاء للولاء، كما أنها عقلت كلّ ركن من أركان الوجود، وهذا من خلال المفهوم المثالي للوجود الذي أعلنه "جوزايا رويس".

المبحث الثاني

الأخلاق المثالية في فلسفة جوزايا رويس

إن الأخلاق المثالية لدى "جوزايا رويس"، تتناول البحث عن المثال الخلقي أولًا ثم مناقشة العلاقة بينه وبين الواقع ثانيًا، وتتميز المشكلة الأساسية في المشكلة الخلقية في الطبيعة بين الصواب والخطأ، أو مدى صدق هذا التمييز، وهل من الممكن تشكيل المثال الأ خلاقي من داخل الذات وبعيدًا عن أي نظرية في العالم الطبيعي؟ أم من الممكن تشكيل المثل أولًا ثم يطلب من العالم الخضوع له؟ لا شك أن فلسفة "جوزايا رويس"، المثالية تستمد مصادرها من مجمل التراث الفلسفي الإنساني.

ويوضح "جوزايا رويس"، أن هناك صراع بين المثل الأخلاقية ونمو الشك الأخلاقي عبر مراحل عدة، يتمثل في كيفية الانطلاق من مرحلة الشك إلى تكوين مثال أخلاقي صحيح، وهذه المراحل تَكُون متسلسلة منطقيًا ومنهجيًا وهي على النحو التالي:

أولاً: صراع المثل العليا

يرى"جوزايا رويس"، أن الافتراض بوجود عالمين للخير والشر باعتبارهما ثنائية التناقض أو التقابل في الكثير من الأشياء تجعل هناك حتمية لوجود امتداد لهما في داخل الكائن وذاته المنقسمة إلى عوالم متعدّدة في الباطن الكامن بمثابة صور شتّى من الوعي واللاوعي، والروح والجسد، حيث يتم التعامل مع المحيط الخارجي بها فتخضع بها أحكامنا للقيم والأعراف، ولكن المؤسف أن الذي يحدث الآن وبرغم أن هناك أفرادًا يؤمنون بالخير كفضيلة، إلا أنهم يقتحمون عالم الشر لتمرير مصالحهم في المجتمع ، وهذا التأرجح في الذات بين عالمين متناقضين – أي عالم الخير وعالم الشر – ، هو الذي يشكل خطراً على الذات البشرية فتداخلت العوالم واختلطت و أصبح الكائن يشعر بتخبط وضياع واحباط ينتهي بمجاراته للآخر خوفًا منه ،وهنا يرى : "جوزايا رويس"، إن عالم الخير ليس عالم البراءة الكاملة ولا هو تجاهلاً للشر و إنما احتواؤه والتغلب عليه(١).

(١) كمال زوبيي: إشكالية الأخلاق المثالية في الفلسفة الأمريكية، نشر مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، طهران، العدد١١، ديسمبر ٢٠١٦م، ص٥٦.

إن ثنائية الخير والشر ليست عبارة عن النقيض ونقيضه، و إنما ما تختزن من أسباب ودوافع لأن يكون الخير فضيلة والشر رذيلة: " فإن كانت الأسباب ذات دوافع خَيِّرَة عَمَّت الفَضِيلة و إن كانت الأسباب ذات دوافع شريرة عَمَّت الرذيلة .لذلك دافع الخير سببه الحد من الرذيلة ودافع الشر سببه قتل الفضيلة، ويشتغل مفهوم السببية بآليات الدوافع الذاتية لتحقيق مصالح شخصية تعتمد قيم الخير أو الشر لتحقيق هدفها المنشود" (١).

إذن فمفهوما الخير والشر تحدده القيم الاجتماعية والدينية الراسخة في وجدان المجتمع، ويتوقف حجمها ونسبيتها و إدراكها على كل ذات على حدى وما تحمله من رواسب كامنة، الرواسب الخيرة أو الرواسب الشريرة، ومستوى ثقافتها.

كما أن الكائنات الاجتماعية ضمن المجتمع الواحد تختلف بمستويات الإدراك لماهية الخير والشر ، ومن ثم لمفهوم الفضيلة والرذيلة، فلحجم الرواسب الشريرة الكامنة في الذات تأثير كبير على السلوك اليومي للفرد كأن يكون سلوكاً مؤذياً للمجتمع من دون أن تدركه الذات على نحو حقيقي ولا تعدّه من الرذائل، لكن الذوات السوية في المجتمع تعده سلوكاً منافيًا لقيم الخير.

ويرى "جوزايا رويس"، أن نظرة الفلاسفة لمعيار التمييز بين الخير والشر تختلف باختلاف اتجاه كل واحد منهم:" فالفيلسوف الواقعي يرى أن معيار التمييز بين الخير والشر هو "العالم"، وعلى الإنسان أن يدرس "الواقع"، ليستنبط منه مثاله الأخلاقي، وبالتالي فلا بد من الخروج بنتائج في الواقع لهذا المثال" (٢).

أما الفيلسوف "المثالي"، فيقرر أن الإنسان يبني مثاله من الداخل، ويتعلم من الواقع العلاقات التي يجب أن يطبق عليها مثاله، فغاية الفعل الأخلاقي مستقلة عن أي نتائج من الممكن أن يحققها في الواقع، ويؤكد لنا"جوزايا رويس"، أنه ليس بالضرورة أن يأتي المثال متوافقًا مع المجتمع، وقد يعترض الواقعي على أنه إذا كان للفرد أن يختار مثاله، فإن المثل

(١) أحمد الأنصاري : فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص١٨٢.
(٢) المرجع نفسه: ص١٨٢.

تأتي مختلفة كما تأتي الأحلام، ومن هنا تظهر لنا عدة تساؤلات عن الأساس الذي بناءً عليه يتم اختيار المثال، وعن ما هو المثال الأفضل، هل الذي يمكن تحقيقه، أم الذي يكون صائبًا بذاته؟ وهل نستمده من الوعي والضمير أم من العالم الخارجي؟ (١).

ويرى "جوزايا رويس"، أن المذاهب الأخلاقية قد عانت على مر التاريخ من تضارب وصراع المثل الأخلاقية ذاتها، ومن تناقض هذه المثل في الواقع، فيصر كل مثالي على أن مثاله الأخلاقي هو المثال الصحيح، فقال "أفلاطون"، بالعدالة وانتصار العقل على الرغبات و أكد "الرواقيون"، على العقل باعتباره أساسًا للقيم الخلقية فالكل متساوون أمام العقل الكلي، وقد جاءت الأخلاق المسيحية امتدادًا " للرواقية"، فجعل "المسيح"، الانسجام مع الحب ا لإلهي جزاء الخيرية، واستبدل المحبة بالعقل، فإذا كانت "الرواقية"، قد اعتبرت الله هو العقل، فلقد أعطى المسيح لفكرة الله الحياة والمحبة والحيوية، ومن خلالها ظهرت فكرة الواجب الأخلاقي، و أصبح الواجب معيارًا للتمييز الأخلاقي بدلًا من العقل" (٢).

ويوضح "جوزايا رويس"، أن الفلسفات الأخلاقية التي تقيم الأخلاق على "الضمير" – الوجدان– تواجه عدة اعتراضات جمة: "بحيث إن كان الضمير يصلح في مجال الأخلاق العملية، فإنه لا يصلح في مجال الأخلاق النظرية، وبالتالي لا يستطيع التمييز بين الصحيح والخطأ، وليس مثالًا ولا يعد أساسًا واضحًا لأي مثال خلقي، ولا يستطيع التمييز بين مثال وآخر، ومن هنا فهو يقوم على المشاعر، فلا يحل المشكلات بقدر ما يخلقها" (٣).

ثم يبين "جوزايا رويس"، ويوضح بأنه إذا كان السفسطائيين يقولون بأن ضمائر الناس والأجناس والأمم تنطوي على الأحكام الخلقية: "فهي تحتاج لشيء آخر تستند عليه لاختيار هذه الضمائر، وإن تأسيس الأخلاق على الوجدان يؤدي إلى الكثير من التساؤلات، فما الذي يجعل الإنسان يطيع ضميره؟. ومن الذي يجعل حكمًا من أحكام

(١) أحمد الأنصاري : فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص١٨٢.
(٢) المرجع نفسه: ص١٨٣.
(٣) جوزايا رويس: روح الفلسفة الحديثة، ترجمة، أحمد الأنصاري، نشر المجلس الأعلى للثقافة، الجيزة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٧٤.

الضمير صائبًا؟. وكم من المذابح والمجازر ارتكبت باسم الضمير؟" (١).

إن إقامة الأخلاق على وجود الله أو وجود الضمير في نظر "جوزايا رويس"، يواجه دائمًا بشك حول طبيعة وجودهما، وعلى هذا يقرر "جوزايا رويس": "أن الصعوبة التي تتسبب في تضارب المثل الأخلاقية، تتمثل في حاجتها إلى قاضي أعلى ليحكم بينها، فإذا ما بحث هذا القاضي في العالم الواقعي فإن مثاليتهم تتعرض للخطر، و إذا ما فتش الناس عنها في ضمائرهم فإن الصراع يتصاعد لأن أي منهم لن يكون هو القاضي الوحيد"(٢).

كما أن الفلسفات الخلقية، التي حاولت التخلص من إشكالية المثل الخلقية: "قالت بالواجبات الاجتماعية والفردية، نجدها واجهت نفس الصعوبات المتعلقة بالمثل الأخلاقية". وهنا يقدم لنا "رويس":"مثالًا في مسألة التمييز بين "الغيرة"، و"الأنانية"، فما معيار صحة هذا التمييز؟، وما هو الأساس الذي قامت عليه القاعدة الخلقية والتي تقول "حب لجارك ما تحب لنفسك؟(٣)." (٤).

وهنا يجيب ويقرر "جوزايا رويس" بنزعته المثالية: "أنه إذا كان جارك له وجود حقيقي مثل وجودك، فإنه يشعر بالحياة مثلما تشعر ويعاني المشكلات وصراع الرغبات والقرارات المصيرية، يكره الآلام ويحب الأفراح وربما عندما تحب جارك وتشفق عليه تزيد مشاعرك حجاب الوهم للحظة قصيرة فتدرك أنه ذات حقيقة مثل ذاتك الحاضرة" (٥).

هنا يوضح "جوزايا رويس"، نزعته المثالية في الأخلاق ، بضرب مثال حب الجار، ولا يكتفي هذا الحب أنك تحبه ، بل يتمادى بأن تكون ذاتك وذات جارك حقيقة واحدة ،

---

(١) المصدر نفسه: ص١٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ص١٧٤.

(٣) **جاء في آيات الإنجيل** : "حب جارك كنفسك، كالأمر الأعظم الثاني بعد محبة الله"(ينظر: الكتاب المقدس ترجمة العالم الجديد: مترجم عن الطبعة الإنكليزية المنقحة، نشر اليابان، ١٩٨٤م، متى: اصحاح:٢٢، ٣٧-٣٩)وجاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" أخرجه مسلم في صحيحه، تحقيق، نظر محمد الفاريابى، دار طيبة للنشر ، الرياض ، ط١، ٢٠٠٦م، حديث رقم٤٥، ص٥٠).

(٤) جوزايا رويس: روح الفلسفة الحديثة، ص١٣٥.

(٥) المصدر نفسه: ص١٣٥.

لها وجود حقيقي مثل وجودك، فتشعر بالحياة مثلما يشعر بها وتعاني المشكلات وصراع الرغبات والقرارات المصيرية مثله، وتكره الآلام وتحب الأفراح مثله.

ويُوجِّه "جوزايا رويس"، هنا نقدًا لاذعًا "لسبنسر"، فقلد قال " سبنسر": " بضرورة التوازن بين الغيرية والأنانية ولكن وصف الغيرية بالأنانية لا ينهي الصراع ؟ إن ما يهم بالنسبة للعلاقة بين الأنانية والغيرية، أن هناك نوعين من السلوك أحدهما يدعو لاحترام الغير، والعمل لصالحه، والآخر يطلب النظر إليه كمجرد أداة للسعادة الشخصية، وهنا يصرح "رويس"، أن مشكلة الأخلاقيين تكمن في كيفية التمييز بين هذين النوعين، وهل نعتبر الأنا نية خلقًا، أم هل الغيرية تمثل مثالًا أفضل؟" (١).

كما يوجه "رويس"، أيضا في دراسته هذه نقدًا "لشوبنهاور"، الذي قال بأن: "الإيثار مبدأ واضح بذاته، ولا يمكن رد الشفقة أو العطف إلى الأنانية: " فالعاطفة هي المبد أ الوحيد الغير أناني في الإنسان، ولذلك تعد الشفقة هي أساس السلوك الصائب في ا لإنسان والدافع الأخلاقي الوحيد"، لكن في مقابل ذالك وإن قال "شوبنهاور"، بالعاطفة فكيف يتم شرحها وتفسيرها لفرد الغير عطوف،" كما أن الأنانية تنمو في الوقت الذي يحتاج فيه الغير للمساعد" (٢).

إن المثالي الأخلاقي يرغب أن يحكم على العالم من خلال مثال أ خلاقي، وبذلك يكون: " سنده الوحيد لهذا المثال الذي يحكم من خلاله في أنه موجود، ومن هنا كان لابد للمثال من أساس فكري مثالي، ومن هنا يوجه المثالي نفس الانتقادات التي وجهت للواقعي"(٣).

وعلى ما سبق فإن "جوزايا رويس"، يرى أن الفيلسوف المثالي إن كان صادقًا في الرغبة والمنفعة، فلابد له أن يعلم جيدًا أن فروضه لا قيمة لها دون المثل، وعليه أن

(١) جوزايا رويس: روح الفلسفة الحديثة: ص١٧٥.
(٢) جوزايا رويس: روح الفلسفة الحديثة، ص١٧٥.
(٣) المصدر نفسه: ص١٧٦.

يواجه بالتحدي ويبين أن مثاله الخلقي ليس مجرد نزوة وليس مؤسسًا على نظرية أو مذهب في الطبيعة، لذلك سوف يقع في الشك لا محال.

ثانيًا: التشاؤم الشك الأخلاقي

لقد واجه "جوزايا رويس"، مثله كمثل "شوبنهاور"، بالتشاؤم من خلال اليأس من شك لا يعالج، حيث لا يوجد أي إلزام عقلي لقبول مثال أخلاقي دون مثال آخر، إلا أن هذا الشك في نظره يحتوي في قلبه على الحقيقة ،والتي نذرنا أنفسنا لاكتشافها، لمعرفة أن كل مثل خاص يجب أن يتطابق مع مثال مطلق، يصبغه "جوزايا رويس"، بالطريقة "الكانطية "حيث يقول: " بمقدار ما تجد هذا من ضمن قدراتك، تصرف كما لو كنت في نفس الوقت جارك وأنت فتعامل مع هاتين الحياتين كحيلة واحدة " (١).

أي أن تجعل حياتك وحياة جارك متطابقة، إذن تجد أن مثالية "جوزايا رويس"، ليست مثالية فردية، بل على الفرد الاشتراك في تحقيق إرادة كلية مطلقة.

ويحاول"جوزايا رويس"، في كتابه "الجانب الديني للفلسفة "، معالجة إشكالية الشك والتشاؤم الخلقي والذي ظهر لنا من خلال صراع المثل العليا، حيث إن: " تحول المثالي إلى الشك يبدو على حسب اعتقاد – جوزايا رويس–، المخرج الوحيد لاختيار مثاله الأخلاقي" (٢).

فلو كان قد اكتفى بمعيار أقل أو لم يصر على اختيار مثله الأعلى بمناهج مثالية لكان قد ظل آمنًا، أو على الأقل في الوضع الآمن الذي يحتله مؤقتًا ولكنه دائمًا ما يتجاوز هذا الوضع: "فقد تقدم لنا بعض الوقائع الخارجية أو بعض الحالات العقلية نفسها، فتساءل نحن ربما يوجد المثل الأعلى الذي أبحث عنه هنا وبالتالي ارتاع وعمل به، لكن سرعان ما تنبت جذور الشك داخله، وتتهمه بعدم الإخلاص، فيخاطبه شكه ما هذا المثل الذي

(١) جيراد دبليو دال: الفلسفة الأمريكية، ترجمة ، جور كاتورة، إلهام الشعراني، نشر المنظمة العربية للترجمة، بيروت، د.ت.ط، ص٢٥٧.

(٢) جوزايا رويس: الجانب الديني للفلسفة، ترجمة، أحمد الأنصاري، مراجعة، حسن حنفي، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠ ، ص٩٧.

وجدته ؟ أم أنك فقط تصادفت في وجوده ؟ فيجد صاحبنا المثالي نفسه ملازما بالقول لم أتصادف بوجوده، بل بسبب اختياري الحر له الإرشادي وتوجيهي أنه مثلي الأعلى" (١).

وعند ذلك يظهر الاتهام المتكرر له من حيث أن النزوة أو الرغبة في الأساس الوحيد لهذا المثل الأعلى، لذا يبدو أن المذهب الشكي أو الشك المطلق في الأخلاق يفرض عنه علينا.

أن في مثل هذا النوع من الشك – كما يوضح "جوزايا رويس"–، يمكن أن نجد أنه السبب الحقيقي لقوة المذهب التشاؤمي الحديث، فلا نجد الأساس الحقيقي لليأس في تحقيق المثل العليا التي نكون قد اخترناها، وإنما في ترددنا المستمر وحيرتنا عند اختيار هذه المثل العليا نفسها، وهنا يقول "جوزايا رويس"، : " اختر لنفسك مثلًا أعلى فيصبح لديك دور تشارك به في بناء العالم، فإن كان المثل الأعلى الذي وضعته لنفسك مثل المثل العليا التي يصعب تحقيقها فإنك لن تصاب باليأس أو التشاؤم، وإنما تشعر على الأقل بنوع من المتعة، من استسلامك الإرادي الحر لخدمة هدف من الأهداف النبيلة" (٢).

أما إذا كنت تحاول البحث عن مثل أعلى، يستحق التزامك به وأصابتك الحيرة والتردد، فإنك واقع لا محالة في مصيدة التشاؤم، لذا يلاحظ "جوزاياروبس"، أن المتشائمين، لا يهتمون كثيرًا بشرور الحياة، وبكونها وقائع حقيقية، بقدر اقتناعهم بأن الحياة لا هدف منها.

ويعتقد "جوزاياروبس"، أن الفيلسوف المثالي لا يتمسك بمثله الأعلى بسب واقعيته، وإنما بسبب اختياره الحر لهذا المثال، لذلك غالبًا ما نجد الهوى أو الرغبة هي الأساس الوحيد لهذا الاختبار، ومن هنا رأى "جوزايا رويس"، أن الأساس الوحيد للأخلاق هو الشك الكامل، حيث دفع هذا الشك الأخلاقي بعض الفلاسفة إلى التشاؤم أو القول بعدم جدوى المثل العليا، فأكد الفيلسوف الألماني "آرثر شوبنهور ت١٨٦٠م "، على عدم

(١) المصدر نفسه: ص٩٧.
(٢) جوزايا رويس: الجانب الديني للفلسفة، ص٩٧-٩٨.

جدوى الحياة[١].

وبعد عرض المشكلة الأخلاقية وإشكالات المثال الخلقية وما ينتج عنها من شك وتشاؤم، يبدأ "جوزايا رويس"، في تحليل الشك الخلقي، فيرى : " أن الشك يعبر عن التشاؤم والقلق الذي يشعر به الفرد عندما يتناول غايتين أو إرادتين متعارضتان، ولا يظهر الشك بين اختيار إحداهما وتجاهل الآخر بل بسبب الرغبة في تحقيقهما معًا، فهو ليس شك بسبب جهل المعرفة، لذا يكون الشك الأخلاقي في حد ذاته نتائج فعل أو نشاط يسعى الوعي من خلاله إلى تحقيق الغايات المتعارضة داخله، ويعتبرها "جوزاياروبس"، بأنها ملاحظة في غاية الأهمية تبين أنه بالرغم من كل الشكوك الأخلاقية فإن هناك غاية تجعل الشك ممكنًا، لذا يتضح أن مذهب الشك الأخلاقي لا يخلو تمامًا من هدف أخلاقي، وهو الجهد لتحقيق انسجام كامل يسبق الأهداف المتعارضة"[٢].

أما التشاؤم الأخلاقي فهو عبارة عن يأس من عدم القدرة على تكوين مثل أعلى للحياة الخلقية، فلا يكون التشاؤم رفض للمثل الأخلاقية بقدر ما هو جهد لتحقيقها معًا، فالتشاؤم له مثل أعلى يسعى لتحقيقه وبدون هذه المثل لا وجود للمعاناة واليأس، وذلك ينتهي"جوزايا رويس"، إلى أن الشك الأخلاقي أو التشاؤم يحملان في أعماقهما مثلًا أخلاقيًا، والتشاؤم كان نتيجة طبيعية للشك، والشك بدوره إدراك لغايات الإنسان المتصارعة.

وعلى ما سبق علينا أن نتساءل: أتلك في المثالية؟، أم أنه عبارة عن شك فلسفي في أساس الأخلاق؟.

ويجيب "جوزايا رويس": "بأن القضية الأخلاقية هي القضية التي تصف فعلًا ما بالإشارة إلى غاية ما وكل قضية من هذا القبيل تنتمى إلى نظام وتعتبر القضية الأساسية لكل نظام أو نسق أخلاقي غاية يعتبرها الشخص الذي يؤمن بها أو ذلك النظام غاية

(١) أحمد الأنصاري : فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص١٧٧.
(٢) جوزايا رويس: الجانب الديني للفلسفة، ص١١١.

نهائية، ومن اختياره الخاص وحده" (١).

في هذا النص يتضح لنا أن "جوزايا رويس"، قد استخدم المنطق بمفهوم النظام أو النسق في تبرير الفعل الأخلاقي، فالأخلاق في نظره لا تحتوي على أفعال أخلاقية فقط، بل وقضايا غير أخلاقية وانساق لا تنتمي للأخلاقية، حيث إن: " الشك نتيجة حتمية للموقف المثالي، والعالم الأخلاقي يبدر عالمًا تسوده الفوضى، وكل غاية يتم اختيارها لا يمكن قياسها نظريًا لأن الصراع بين الغايات هو صراع عملي. ومع ذلك فإن الإنسان يعرف أن هناك انتصارًا أبديًا منها لكل شك، وانتصار الإنسان ما هو إلا ذروة في الحقيقة المطلقة " (٢).

ثالثًا: البصيرة الخلقية والتبصر الأخلاقي

يذكر "جوزايا رويس"، في كتابه "مصادر البصيرة الدينية"، تعريفًا للبصيرة بأنها:"صورة من الأهمية التي نستطيع عن طريقها تميزها عن المعرفة فقد يعرف التاجر الطريقة التي يمارس بها عمله، ولكن لا يكون تاجرًا ناجحًا إلا إذا كانت لديه بصيرة بطبيعة العمل الذي يؤديه وبقواعده وبالطرق التي يستطيع تحقيق النجاح بها، فقد يعرف الإنسان أسماء أصدقائه ووجوههم. ولكن تكون لديه بصيرة بصفات المقربين منهم ، وتعد البصيرة وفق هذه الأمثلة اسما لنوع معين من المعرفة ولدرجة معينة منها، وبالتالي فالبصيرة معرفة توحد بين مجموعة من الوقائع في مجال معين، وتضم مجموعة من المعارف في وحدة معينة، وتحقق إدراك معنى معين، وقد تتحقق البصيرة لدى عدد كبير من الأميين وغير المتعلمين في أي موضوع من الموضوعات التي يدرسونها" (٣).

في هذا النص يوضح ويبين "جوزايا رويس"، صفات البصيرة بصورة عامة، ولما كانت البصيرة الخلقية هي موضوع من الموضوعات، وكان عالم الوقائع لا يمد الإنسان

(١) جوزايا رويس: الجانب الديني للفلسفة: ص١١٢.
(٢) أحمد الأنصاري : فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص١٨٤.
(٣) جوزايا رويس: مصادر البصيرة الدينية، ترجمة، أحمد الأنصاري، مراجعة، حسن حنفي، نشر المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م، ص١٨.

بمذهب أخلاقي، ويوجد انفصال بين هذا العالم وعالم الغايات الخلقية والمذاهب الأخلاقية، ووجدنا بأن الرغبات المتعارضة وإن ارتبطت بعالم الوقائع، فإنها تفقد خاصيتها المثالية، وبالتالي فإن التخلص من هذه الإشكالية لا يمكن بدراسة عالم الوقائع ، وإنما بدراسة عالم الغايات الأخلاقية ككل.

إذن فما هي الغاية الأخلاقية العليا التي يمكن أن تظهر لمن يدرك الغايات الأخلاقية ككل؟.

ويجيب "جوزايا رويس"، على هذا التساؤل، فيرى: " بأن من يدرك غاية تصبح غايته ويرغب في تحقيقها تحققًا فكريًا كاملًا، لذلك من يدرك الغايات المختلفة والمتضاربة تصبح كلها غايات في لحظة البصيرة أو الحدس فيدركها جميعًا ويرغب في نجاحها كلها، وما كانت كل غاية تعبر عن إرادة فردية فإن إرادته تصبح كل الإرادات المتضاربة وينقل الصراع من الخارج للداخل ويشعر الفرد بمرارته، ولها السبب قد يشعر بالتشاؤم في اللحظة الأولى لنظرته الجديدة ثم يتساءل في نفسه ألا توجد نهاية لهذه الصراعات ؟"(١).

وعلى هذا يشعر الفرد بأن لديه غاية فإرادته ليس بدون هدف لأنه يرغب في تحقيق الانسجام بين الإرادات، وهذا الأخير الأوحد الذي يظهر في خياله قوة كل الخيارات الفردية والغايات المتصارعة، وبذلك يكون العالم المثالي هو العالم الذي يتحقق فيه الخير الأعلى، حيث يتوقف الصراع .وتنسجم كل الغايات الأخلاقية المتضاربة .

ويؤكد "جوزايا رويس" ، على ضرورة تأسيس هذه البصيرة على القاعدة الأخلاقية " افعل كما لو كنت ترغب أن تحقق كل الغايات التي تتأثر بفعلك"، بصيغة أخرى افعل دائمًا في ضوء نظرة شاملة وتبصر كامل، لكل الغايات التي يؤثر فيها فعلك"، ويرى " جوزايا روس"، أن هذه القاعدة الأخلاقية ليست عاطفية أو ذاتية، بل قاعدة كلية، طالما أن اختيارها يعتمد على التحقيق العام لكل الغايات المتضاربة في عالم الحياة ،وبذلك

(١) أحمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص١٧٨.

يظهر مذهب أخلاقي في قلب الشك ذاته وتتكشف "إرادة كلية" وسط الإرادات الفردية المتصارعة [١].

ويري "جوزايا رويس"، أن من الأمور الضرورية، بل وضرورة عقلية، أن يدرك الإنسان أي نسق أخلاقي قد يعرض عليه بأن يولد في ذاته، أو ينتج في عقله صورة طبق الأصل للإرادات التي وضعت هذا النسق الأخلاقي، ومن هنا يستطيع تقبل الغاية الجديدة، وعلى هذا فإن "جوزايا رويس": " يرى أن الشك الأخلاقي المطلق لا يكون خاليًا تمامًا من السعي إلى غاية أخلاقية أو وجود هدف أخلاقي" [٢].

إن اكتساب البصيرة يؤكد احترام كل فرد لإرادة الآخر فلا تكون البصيرة مجرد شعور بالشفقة أو العطف على الجار مثلًا ، وإنما تعتمد على إدراك إرادته المتعارضة وتأمر السلوك طبقًا للإرادتين وإنما لا تقول حب لجارك ما تحب لنفسك وإنما أسلك كما لو كنت أنت وجارك كائنًا واحدًا .

ولا تقتصر قيمة المثل الأعلى في أنه يقدم للبصيرة : "حدثها اللحظي فقط بل باعتبار أن كل غايات الإرادات المتصارعة في العالم قد اتسقت وتوافقت فيه مع هذه البصيرة ولذلك يقدم المثال للبصير قاعدة ثانية السلوك تقول للفرد "افعل بطريقة لكسب الآخرين الحد الخلقي" [٣].

ومن الواضح أن البصيرة تعارض "الدوجماطيقية" – أي امتلاك الحقيقة المطلقة والقول بغاية واحدة منفصلة– ، وتظهر من الوعي أن غاية واحدة ليست غاية حقيقية، ويمثل الشك أولى مراحلها، فالشك هو الطريق الأمثل للوصول إلى المبدأ الخلقي ومعرفة طبيعة الإرادة الكلية، كذلك فالجار ما هو إلا مجموعة من الرغبات والأفكار لها وجود واقعي مثلما تكون "الأنا" المستقلة واقعية وحقيقية.

والبصيرة الخلقية والتبصر الأخلاقي، كما يرى "جوزايا رويس"، يعتمد على

(١) المرجع نفسه: ص١٧٩.
(٢) جوزايا رويس: الجانب الديني للفلسفة، ص١١٩.
(٣) أحمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص١٨٠.

الاعتراف بوجود النفوس الفردية، وقدرتهم على فعل الخير أو الشر، طبقًا لوجهة نظرهم ولإرادتهم الحرة، ويتحقق التقدم في النظام من خلال قيام الإرادة الفردية بواجباتها، كما تعتبر إشكالية وجود الشر من المشكلات الأخلاقية التي تواجه المذاهب المثالية، وهذا يتضح من خلال بيان ، "الحرية الأخلاقية"، و "وجود الشر"، في فلسفة جوزايا رويس المثالية.

الحرية الأخلاقية

يرى "جوزايا رويس"، أن النظام الأخلاقي يعتمد على الاعتراف بوجود النفوس الفردية، وقدرتهم على فعل الخير أو الشر، طبقًا لوجهة نظرهم ولإرادتهم الحرة، ويتحقق التقدم في النظام من خلال قيام الإرادة الفردية بواجباتها، فإذا كان العالم تعبيرًا فرديًا عن هدف المطلق، وهدف المطلق مركب، فإن وحدته هي وحدة إرادات عديدة تجد كل منها تعبيرها في حياة فردية.

وهنا يطرح "جوزايا رويس"، مجموعة من الأسئلة : هل هذا العالم بأوصافه يحقق مطالب النظام الخلقي والوعي الأخلاقي؟. ألا يكون النشاط الأخلاقي ظاهرة عرضية في ظل وحدة العقل والطبيعة؟. ألا توجد حتمية أخلاقية؟. وهل يمكن التوفيق بين المعرفة الإلهية السابقة والإرادة الحرة للإنسان؟.

ويجيب "جوزايا رويس"، قائلًا: "إن الوجوب الأخلاقي عبارة عن قاعدة إذا ما تم إتباعها في أي لحظة زمنية فإنها تعبر عن إرادة الفرد، وتجعله أكثر قربًا من الله، وإذا ما اختار الفرد مخالفة هذه القاعدة، واختار سلوك العصيان، فإنه يكون بتمرده وبعصيانه معبرًا عن الوجوب، ويشير النظام الأخلاقي أو القانون الخلقي بالتحديد إلى أفعال وإلى نتائج مقصودة لها، تتبع بعضها البعض في تعاقب زمني أو تدرك باعتبارها متعاقبة"(١).

ومن هنا يرى "جوزايا رويس" رويس: "أن ميتافيزيقا السلوك الإنساني تخضع

(١) جوزايا رويس : العالم والفرد الطبيعة ، الإنسان، النظام الخلقي، ترجمة، أحمد الأنصاري، مراجعة، حسن حنفي، نشر المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ج٢،ص ٢٣٠.

للشروط العامة نفسها التي تحكم ميتافيزيقا أي عملية زمنية [١].

ولذلك تكون الذات واعية بتقابلها مع الواقع بوصفه الآخر الذي تحتاجه للتعبير عن هدفها الداخلي، فيظهر الوجوب في صورة المبدأ، الذي يطالب الذات بالتوفيق بين إرادتها وإرادة العالم من خلال الطاعة للنظام الخارجي[٢].

إن حرية الذات تعتمد على القول بأن في الكل الفريد لحياة المطلق، تكون فيه كل ذات فريدة في ذاتها، وبالتالي فكل ذات تكون حرة في أحد جوانب طبيعتها، فإذا تمت رؤية هذه الحقائق في ضوء التفرقة بين الزمني والأبدي، فإن كل ذات أخلاقية تعبر عن نفسها في سلسلة الأفعال، يكون لكل فعل مكانه الفريد في حياة فريدة، ويكون في حد ذاته فعلًا حرًا، ولكن في مقابل هذا ألا تسعى الذات لتحقيق وحدتها مع الآخر؟.

هنا يرى "جوزايا رويس"، أنه ليس هناك علاقة حتمية أخلاقية، أ ي لا حتمية في الأخلاق، فيستطيع الفاعل اختيار الشر أو تجنبه بأن يختار الخير، وبالتالي لا تعارض بين قدرة الفع الأخلاقي على تغيير العالم، ومع وصف عالم المطلق بالكمال، وبأنه العالم الوحيد الممكن وجوده، و إن تطابق الفرد مع المطلق لا يكون بدون اختلاف وهذا ما نجده عندما تتحول أفعال التكفير من أفعاله الشريرة الى خير، وتتصالح إرادته، كما لا يتعارض تأسيس الوعي الأخلاقي على التضاد بين ما هو كائن ، وبين ما يجب أن يكون، لأن ما ينبغي أن يكون واقعًا في النظام الأبدي، إن عالم المثالية ذو نظام أخلاقي يكون لكل فاعل مكانه وواجبه وحريته وقيمته الفردية ويتحقق له ذلك بسبب وحدته بالوجود وبالله، وتتصف أفعاله بالحرية، لأن إرادة الله تعبير عن نفسها من خلاله باعتبارها أساس حريته، فالعالم كما فسره "جوزايا رويس"،يتحقق من خلال الأفعال الحرة للإنسان سواء كانت خيرة أو شريرة أو تكفير[٣]. وفي هذا النص نلمس الامتداد الكبير للفلسفة المسيحية في تفسيرها للأخلاق عند

(١) المصدر نفسه:ص ٢٣٠.
(٢) أحمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص١٨٦.
(٣) المرجع نفسه: ص١٩٠.

"جوزايا رويس".

كما يرى "جوزايا رويس"، أن عالم المطلق الذي يشمل كل شيء، لا يمكن أن يحدده أي شيء خارجه، ويكون حرًا بهذا المعنى، ومع ذلك فكل الأحداث تحدث في نظام مطرد، فليس هناك شيء من عناصر المصادفة، أو حدوث شيء عرضًا في الطبيعة، كما تستمر في الزمان، وبهذا يكون "جوزايا رويس"، فيلسوفًا حتميًا، فالعالم كما يوجد هو تعبير عن الإرادة الأزلية للمطلق.

إذن "فجزايا رويس"، من أنصار الجبر الذاتي بالنسبة لموضوع الحرية البشرية لأفعالنا، ونكون بالنسبة لها أحرارًا ومسئولين أخلاقيًا، أن لكل منا فرديته الفردية الخاصة، وله قيمته الخاصة بالنسبة لله، ولا يمكن لأحد منا أن يحل محل الآخر، ونحنا عندما نكون مدركين لهذا التفرد كما ندرك قيمنا الخاصة ونكون ملهمين بسبب ذلك وبالتالي فنحن أ حرار، وعندما لا نفعل ذلك نقع في العبودية(١).

١ – وجود الشر

تعتبر إشكالية وجود الشر من المشكلات الأخلاقية التي تواجه المذاهب المثالية، حيث يرى "جوزايا رويس"، أن الشر لا يوجد في العالم كوسيلة للخير، لأن معنى ذلك أن الخير والشر كيانان منفصلان، ويصبح الحصول على الخير مسبوقًا بخبرة شريرة ولا يتم ذلك إلا بوجود قوة محدودة، تحقق الخير من خلال توسط الشر، إن الله مطلق ولا وجود لأشياء مستقلة عنه، لذلك لا يعتبر الشر وسيلة للخير من ارتباط كل بجزء، فيستمد الخير وجوده من اللحظة التي يتم فيها اكتشاف الشر والسيطرة عليه، إن الشر عبارة عن واقعة تدفع جزئياتها إلى البحث عن الآخر، الذي يمكن من خلاله تفسيرها".

أما بالنسبة لوجود الشر فيرى الرويس إلى الوعي بالشر يحدث بسبب طبيعة الإرادة والمثل الأعلى، فتحتاج الإرادة لعالم المستقبل الذي تعبره عالم الوجود الذي تتحقق فيه ولا تكون مشبعة تماماً بالحاضر، لذا فهي تحيي بشعورها بعدم الرضى، بسبب سعيها

(١) وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة، محمود سيد أحمد، نشر التنوير للطباعة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م، ص٤٧٤.

للمثل الأعلى دائمًا، لذا يرى "جوزايا رويس"، أن المثل العليا تساهم في الوعي بالشرور الزمنية"(١).

وعن علاقة الشر بالعدالة الإلهية يرى " جوزايا رويس"، أن الإنسان عندها يرى أن هذه الشرور تتعارض مع العدالة الإلهية ويطرح الإنسان سؤاله التالي: إذا كان العالم من صنع مدبر حكيم يعرف قيمة الخير، فكيف يسمح بوجود الشر؟.

وهنا يجيب " جوزايا رويس"، بنظرة غائية للعلم حيث يؤكد: "أن الموت والحروب مثلًا عبارة عن شرور طبيعية وليست من فعل الله أو الشيطان، وأن الآلام والأحزان ظواهر طبيعية تحدث بسبب الجهل ومحدودية الإنسان، لذا يعتقد رويس أن فهم الطبيعة من أفضل طرق تحقيق الخير كما أن وجود الشر في نظره يعتبر ضروري لحرية الأفراد، لأنها تضمن منطقيًا سماح الله بوجود الأفعال الشريرة فبدون الحرية لا وجود لخير أعلى، وبسببها يستطيع أن يخطأ الإنسان"(٢).

إن وجود الشر في الحياة الدنيا له حكمة عظيمة لا يعلم كنهها إلا الله تعالى ، وإذا كان دراسة "شوبنهور"، للشر مستحيلًا فأنكر وجود الشر ووصفه بأنه وهم أو مجرد شيء ظاهري، إلا أن "جوزايا رويس"، يفسر وجود الشر بأن الله لم يرد العالم بشروره بطريق عابئة، بل أراد الله الشر لكي ينتج الخير الأعظم الذي لولاه لما تحقق.

ويضرب "جوزايا رويس"، أمثلة عديدة على فكرته هذه وتشبيهات منها: "افرض مثلًا أنك وأنا؛ سمعنا بعض الأنغام الحادة عند عزف سيمفوني، جعلتنا لا نستطيع أن نفهم بقية القطعة الموسيقية، فإن هذه ا لأنغام الحادة سوف تبدو لنا أنها شر تام .أما بالنسبة لله أو المطلق، من ناحية أخرى، يخبر الكون ككل، ماضية، وحاضره، ومستقبلية بطريقة أزلية، أنها غير شر"(٣). كما يقدم " جوزايا رويس"، أمثلة أخلاقية أيضًا، "فيوسف"، في القصة التي يروها الكتاب المقدس، خانه إخوته لكنها ليست خيانة على الإطلاق لأنها أظهرت نبوته وملكه"(٤).

(١) أحمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص١٩٣.
(٢) جوزايا رويس: الجانب الديني للفلسفة، ص٣٢٠.
(٣) وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٤٧٤.
(٤) وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٤٧٤.

هنا يضرب "جوزايا رويس" مثال أخلاقي أيضًا بقصة نبي الله يوسف عليه السلام، بخيانة إخوته له، فالناظر يرى أنها شرًا، ولكنها كمنة في باطنها الخير الكثير لنبي الله يوسف عليه السلام، بظهور نبوته وملكه، فلقد مكنه الله تعالى في الأرض، قال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف: ٥٦).

وكانت نهاية قصته التي كمنت في باطنها الخير وفي ظاهرها الشر أن الله تعالى رفعه، واظهر نبوته، وغفر لأخوته قال تعالى :﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾(يوسف:١٠٠ – ١٠٣).

ومن هنا يقرر "جوزايا رويس" :" أن الله يسمح للمخطئ أن يخطئ ويحول الله هذا الشر الى خير دائم، لكن المخطئ يلام ويدان على نحو أزلي بسب الشر الذي ارتكبه والذي لا يصبح خيرًا إلا عن طريق تضحيات بطولية من الآخرين"(١).

إذن هناك صراع بين المثل الأخلاقية ونمو الشك الأخلاقي عبر مراحل عدة، تتمثل في كيفية الانطلاق من مرحلة الشك إلى تكوين مثال أخلاقي صحيح، وهذه المراحل تَكُون متسلسلة منطقيًا ومنهجيًاكما يرى "جوزايا رويس"، وهذه المراحل تبدأ بصراع المثل العليا، ثم التشاؤم والشك الأخلاقي، ثم البصيرة الخلقية والتبصر الأخلاقي.

(١) المصدر نفسه: ص٤٧٥.

المبحث الثالث

النزعة المثالية في مفهوم الإنسان عند جوزايا رويس

أولًا: مفهوم الإنسان وطبيعته

مفهوم الإنسان هو ثالث المفاهيم التي تظهر النزعة المثالية في فلسفة "جوزايا رويس"، كما يظهر فيه التوفيق بين المثالية والبرغماتية، أو بين الدين والفلسفة والعلم، وقبل الخوض في مجالات التوفيق لابد لنا من إجابة لسؤال؛ **ما مفهوم الإنسان وطبيعته عند "جوزايا رويس"؟.**

ويجيب "جوزايا رويس"، قائلًا: " أن الفهم الحقيقي للإنسان وقيمته في الكون تبدأ بدراسة النفس الإنسانية ثم دراسة صلتها بالواقع وبالطبيعة وبالمطلق، فيقم لنا عدة تعريفات للذات الإنسانية، منها من يرى أن الذات الحقة للفرد هي ما يعبر عنه الأنا التجريبي اللحظي الذي يدركه الفرد مباشرة، ومنها من يعتبرها أنها جوهر روحي يحل في البدن، ومنها من يقسم النفس إلى قسمين سفلى وعليا أو طبيعية وروحية" (١).

فهذه التعريفات يرى "جوزايا رويس"، أنها متناقضة في معظم الأحيان، وهذا التناقض يرجعه "جوزايا رويس"، إلى الذات النفسية نفسها، أو الحياة الباطنية للطبيعة كلها، أو عن النظام الأخلاقي الذي يحوي هذه النفوس وتلك الحياة الباطنية، ومن هنا فإنه لا يمكن معرفة الأنا الحقة إلا بالتعالي على حياتها اللحظية، ومن التفسير العميق لهدفها الأخلاقي ومثلها الأعلى.

كما يعتمد "جوزايا رويس"، على المفهوم الرابع للوجود – أي المفهوم الرويسي المثالي للوجود–، لكي يوضح وجود النفس وطبيعتها، فتؤكد نظريته المثالية التي صاغها على أن الفرد يشعر بالتقابل بين "الأنا" و"اللاأنا"، أي بين المعنى والهدف أو بين الداخل والخارج أي أن النفس كما صاغها "جوزايا رويس"، تكون بالمعنى الضيق هي الفكرة،

(١) أحمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص٣٧٧.

التي ينظر إليها كمعنى داخلي، ويكون اللاأنا هو كل باقي الحياة الواعية أي العالم الخارجي، من هنا يمكن أن تكون كل فكرة محدودة ذاتاً ، كما يستطيع الفرد مقارنة الأنا الحاضر مع خبرات ماضية أو مستقبلية، أو مع أي "أنا" أوالمجتمع ككل، أو مع الحياة الواعية التي ينتمي إليه الإنسان، لذلك لا يوجد مبدأ عقلي واحد ثابت وراء الأنا.فإذا ما أراد الإنسان انتقاء خبرات معينة ماضية أو مستقبلية يتوحد الأنا الحاضر ويشكل ما يعرف بذاته الإنسانية الخاصة" (١)

ويتضح من التفسير السابق لطبيعة الأنا، أن هناك مرحلتين أو نمطين فهناك الذات الواسع التجريبي وهناك الذات المثالي، الأولي نتج من المقارنة بين الأنا الحاضر للفرد وخبراته الماضية والمستقبلية، أما الأنا المثالي أو الذات المثالي فينتج من المقارنة بين هذا الأنا الأوسع واللاأنا الخارجي، فالذات الحقة ليس جوهر روحيًا في الإنسان، بل أن الإنسان هو الذي يحدد ذاته ويخلقها.

ويؤكد "جوزايا رويس"، من خلال الأنا المثالي أن الذات لا يمكن معرفتها أو الوعي بوجودها وتميزها على الآخرين مباشرة، فالنفس المثل الأعلى ومكانها الحقيقي في العالم الأبدي حيث تتحقق كل النفوس والخطط والمثل العليا، ففي الله فقط يعرف الفرد ذاته الحقة ويدرك كيانه ووجوده الحقيقي(٢).

فتظهر المثل الأبدية في تفسير "أفلاطون" لعملية تحرر النفس من طبيعتها الدنيا، باعتبارها المصدر الإلهي للحقيقة، ولا تعني الطبيعة للروح شيئًا إلا تأمل كمالها الناقص(٣).

من خلال هذا التحليل يتضح لنا أنه إذا كانت قيمة الإنسان تكمن في "الأنا"، وبالتالي فإن إشكالية وجوده تعد الإشكالية الحقة للوجود الإنساني.

ويوضح "جوزايا رويس" ذلك بقوله : " إن حرية الفرد واستقلاله يستند إلى العالم الذي يحيا فيه بحيث يحقق هدف محدد ومطلق، كما يحقق الإرادة الإلهية. كذلك إذا كان

(١) أحمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص٣٨٠.
(٢) المرجع نفسه: ص٣٨١-٣٨٣.
(٣) جوزايا رويس : العالم والفرد الطبيعة ، الإنسان، النظام الخلقي، ج٢، ص١٧٦.

الأنا يشعر بوجوده من خلال مقارنته مع الآخرين، ويحقق هدفه بالتباين معهم، من هنا، فإن إرادة الفرد تعتمد على المجتمع والطبيعة والنظام الزمني لكي تحقق ذاتها ، كما يؤكد "جوزايا رويس"، من ناحية أخرى على وجود تشابه بين علاقة المطلق بنفوس الأفراد، وبين علاقة الأنا الفردي الواسع بحياة تمثل مجموعة من النفوس المحدودة الجزئية، لذالك لا بد لكل ذات جديدة تظهر في الزمان ، أن تجد مكانها داخل ذات أوسع وأشمل" (١).

فلا يستطيع الإنسان بهذا المعنى تحقيق الخلاص وتجهيز القلب، وهو ما يؤكد عليه "جوزايا رويس"، في قوله : "فليس الذات الأعلى ذاتي على الإطلاق، وإنما تتجسد من خلال صراع الروح مع الجسد فالله مصدرها، فهي تأتي للإنسان مثل العقل الخلاق لدى أرسطو ولا تنتمي إليه وإنما إلى الله" (٢).

ثانيًا: علاقة الإنسان بالطبيعة.

أما عن علاقة الإنسان بالطبيعة، فهي علاقة تعطي تفسيرًا لنشأة وظهور النفوس الجديدة، فإذا كانت نظرية التطور – كما يرى العالم الطبيعى البريطاني "تشارلز داروين ت١٨٨٢م" – تقرر لنا أن الإنسانية قد نشأة من كائنات غير إنسانية، وهذا ما يدافع عليه "جوزايا رويس"، بالاعتماد على التناظر بين الوعي الإنساني والوعي الطبيعي، فمثلما يظهر لدى الفرد أفكار وخطط جديدة في الوعي الإنساني، كذلك تظهر أنماط جديدة من الوعي في الطبيعة، والمقصود بالنمط الجديد هو إيجاد وسيلة للتعبير الذاتي أو الذاتية الجديدة، وكما يظهر نوع جديد من الذاتية في "الأنا التجريبي"، كذلك تظهر النفوس والإنسانية في الطبيعة وهو ما تؤكده ملاحظة أنماط الحياة في الطبيعة على وجود تطور تدريجي لسلسلة من الأنماط الجديدة لأنماط قديمة فيتمثل التوالد الوراثي إتحادًا جنسيًا لخلايا سابقة، وتكسب الخلية الجديدة صفاتها من صفات الآباء، فيكون المولود حلقة جديدة من سلاسل الصور الممكنة للنوع، ويشبهه "جوزايا رويس" بعملية المحاكاة التي تظهر في

(١) أحمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص٣٨٤.
(٢) جوزايا رويس : العالم والفرد الطبيعة ، الإنسان، النظام الخلقي، ج٢، ص١٧٦.

الوعي الإنساني ويرى "جوزايا رويس" أن الإنسان قد يكون ظاهرة طبيعية، ويخضع وجوده للتفسير العلي، ولكن رؤيته لذاته ولمثله الأعلى لايكون خاضعًا لذلك التفسير العلي، ومن هنا يكون الإنسان كائنا حرًا (١).

إن "جوزايا رويس"، يدافع هنا بوجهة نظر تشارلز داروين ت١٨٨٢م- القائلةإن الإنسانية قد نشأة من كائنات غير إنسانية، وهذا ما يؤيده "جوزايا رويس"، معتمدًا على التناظر بين الوعي الإنساني والوعي الطبيعي، فمثلما يظهر لدى الفرد أفكار وخطط جديدة في الوعي الإنساني، كذلك تظهر أنماط جديدة من الوعي في الطبيعة، إلا أن "جوزايا رويس"، يرى أن الإنسان قد يكون ظاهرة طبيعية، ويخضع وجوده للتفسير العلي، ولكن رؤيته لذاته ولمثله الأعلى لايكون خاضعًا لذلك التفسير العلي، ومن هنا يكون الإنسان كائناً حرًا.

إن ما ذهب إليه "داروين، و "جوزايا رويس"، فرضاً من الفروض وظناً من الظنون، لأن نظرية التطور ليست مبنية على اليقين.

عجز مذهب "دارون" وأنصاره عن تفسير البداية، فقالوا بالصدفة و بالتالى عجزوا عن فهم وإدراك النهاية وهذا أمر طبيعي، بل وحتمي، فكما لا توجد بداية منطقية، كذلك لن توجد النهاية منطقية أيضاً، وكما أنكروا بداية الخلق وفكرة الخلق المستقل للإنسان، ينكرون أيضا فكرة البعث والعقاب والثواب والآخرة والأبدية، لأنه كى يسلم الإنسان بالغيب، لابد من إقناعه بالحجة والبراهين والمنطق، وقد اتبع الحق هذا المسلك العلمي.

وكان الطريق العلمى هو الطريق الوحيد والعصرى للإيمان بالله والغيب والبعث، والعقاب والثواب: أما مذهب التطور، الذى سمى باطلاً نظرية، قامت على الظن والافتراض، فهى نظرية محرومة من كل أوصاف النظريات العلمية ومميزاتها فهى ليست سوى اتجاه إيديولوجى معين وليست حقيقة علمية: نظرية تلهث وراء دليل وحجة

(١) أحمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص٣٨٦.

وأسباب[١].

ولكن هل يمكن أن تقدم الفلسفة المثالية حلًا لعلاقة الإنسان بالله ويحقق للإنسان حريته واستقلاليته؟.

هذا ما يحاول "جوزايا رويس"، الإجابة عليه ويقدم لنا توفيقًا أكثر ما نستطيع القول عليه أنه مثالي برغماتي ومنطقي في نفس الوقت، فيرى: "أن الإنسان عبارة عن جزء من خبرة واعية محدودة، وذات فترة زمنية أطول من الوعي العادي عند أفراد الإنسان، كما يلاحظ "جوزايا رويس"، أن الاعتقاد في وجود الآخرين يسبق الاعتقاد في وجود الطبيعة، ولا يتم الاعتقاد في وجودهم من المماثلة بين ما يحدث في الذات، بل إن الذات تعتقد أو لا وتعرف وجود الآخرين قبل أن تعرف نفسها. وإقرار " جوزايا رويس"، للتشابه الموجود بين العقل والمادة أو بين الوعي الإنساني والطبيعي أنه ما هو إلا دليل على اقترابه من أنصار المذهب المادي، الذين يصفون المادة أو الطبيعة بأنها تتميز بالحركة والقوة والتنوع والتفكير، ولا يقرون بوجود جوهر روحي مستقل عن المادة، كما يؤكد أيضًا أن وعي الطبيعة يسعى لتحقيق المثل العليا، فهو لا يقل درجة عن الوعي الإنساني" [٢].

ويتجه"جوزايا رويس" لشرح العلاقة بين الله والإنسان، من خلال توضيح طبيعة الحياة الإلهية ومسألة خلود النفس فإذا كان للنفس وجودها الفردي الذي يعبر عن إرادة الله، فإن لها أيضًا هدفها الأبدي، كذلك لما كان جوهر الأنا الأخلاقي يتطلب واجبات ومسؤوليات، يتم بها خدمة الله، فإن ذلك يؤدي إلى افتراض أن الأنا لا يتحقق كماله إلا في الله، وفي الأبدي، وتلك أو ل صيغة لمعنى الخلود الإنساني، ويبرهن "جوزايا رويس"، على ذلك : "بأن الأنا الأخلاقي يكسب وجوده وحريته من كونه فردًا وتجسيدًا فريدًا لنمط فريد من الذاتية، وبالتالي يظل التفرد مجرد مسلمة يتطلبها الوعي الخلقي، وطالما أن الأنا

(١) د. أميمة خفاجي: دارون بين إنسانية الحيوان وحيوانية الإنسان، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت، ص١٤٩-١٥١.

(٢) أحمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص٣٦٥.

مقولة أخلاقية فإن من عادة الواجب الخلقي عدم التوقف، أو الانتهاء في أي حقيقة زمنية من هنا يكتسب الواجب الخلقي حياة جديدة، كلما حاول الانتهاء منه، ولذلك ليس هناك فعل أخلاقي أخير، فلابد إذن من خلود النفس.كما أن اتحاد الإنسان مع الله يتطلب بالضرورة حياة فردية خالدة، أما عن ظاهرة الموت، فيرى رويس أنه عندما يموت الإنسان، فإن الموت يكون ممكناً فقط، لذلك فإن إمكانية وجود الموت كواقعة ميتافيزيقية، وفي عالم تعبر وقائعه عن وعي ما، يستند إلى حقيقة واحدة وهي أن من يفنى دون تحقيق هدفه يحيى في العالم الأبدي، باعتباره فردًا ليرى أن هدفه تحقق أخيرًا في حياة لاحقة (١).

نلاحظ أن نزعة رويس تأليفية وبالتحديد توفيقية وتظهر واضحة في نظريته حول النفس خاصة في التوفيق بين المثالية الألمانية والبرغماتية: "فيتوافق مع "شلينغ" في ضرورة وجود الآخرين والوعي الاجتماعي والأنا التجريبي والأنا المثالي في اتساق مفهوم الأنا مع مفهوم الطبيعة، ويقترب من أنا "فيشته" الأخلاقي وإن كان الأنا ليس مبدأ الوجود ويسير في التيار الهيجلي في إظهار مقولة التباين كمقولة أساسية لوحدة الأنا، ويخلق الفرد ذاته باستمرار فالأنا هدف.من هنا يتسق الفكر البرغماتي بصورة عامة" (٢).

كما إن تفسير نشأة النفس ماهي إلا النظرة الأفلاطونية في صياغة جديدة، فالنفس الحاضرة أو اللحظية، ليس هي الأنا الحقة أو مثل أعلى، وما ذلك إلا تفسير جديد لعالم المثل الأفلاطوني، كما نلتمس حضور الفكر الصوفي الأفلاطوني واضحًا، فإذا كان ينتقل في جدله من عالم الحس إلى عالم المثل، فإن "جوزايا رويس" ينتقل من الأنا التجريبي إلى الأنا المثالي، أي من الوعي الذاتي إلى الوعي المثالي فلم يستطع "جوزايا رويس" إن يتخلص من تراث المثالية الأفلاطونية.

وإذا كان "جوزايا رويس"، من أنصار المثالية الذاتية التي ترد كل شيء للذات، إلا أنه يقرر أن المثالية المطلقة هي أساس مذهبه، ولذلك يبدو أن "جوزايا رويس"، كان يحاول

(١) أحمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص٣٩٠-٣٩١.
(٢) المرجع نفسه: ص٣٨٢.

التوفيق بين المثالية الذاتية والمثالية المطلقة، فلا يضحي بالأنا من أجل المطلق أو العكس .إلا أنه من الواضح القول أن نظرية "جوزايا رويس"، في النفس الإنسانية جاءت : " مفسرة ومدافعة عن المثالية، أكثر من كونها تحقق للإنسان غاياته المباشرة والعملية، ويمكننا القول أنها جاءت ضد فكر معين، أي فكر ضد فكر، الأمر الذي جعلها بعيدة عن الحياة العملية والواقع، فهي نظرية أقل ما يقال عنها أنها تصلح لفلسفة دينية هذا أولًا، أما ثانيًا، فهي نظرية تدافع عن المثالية، أمام هجوم فلاسفة العمل، خاصة لما وجهه "وليم جيمس"، من نقد لأصحاب المذهب الواحدي، أو لأنصار المطلق من المثاليين(١).

وأخيرًا وبعد هذا العرض لمجالات التوفيق بين المثالية والبرغماتية يتضح لنا إن رويس كان برغماتي في ثوب مثالي أو كما وصفه "ر، ب، بيري"، بقوله : " إن رويس متجذر ا لحياة الأمريكية أعار فلسفته إلى صناع يتبعون الموضة الأوربية القارية"(٢).

(١) أحمد الانصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص٤٠٠-٤٠٤.
(٢) جيرار ديلول :الفلسفة الاميركية، ص٢٤٩.

خاتمة البحث

توصّلنا بعد الدّراسة والبحث إلى جملة من النتائج تتمثّل أهمّها في النّقاط الآتيّة

(١) أن الفلسفة المثالية عند "جوزايا رويس" قادرة على إقامة دين بلا طقوس وبلا عقائد ، والمثالية لديه دين العقل ودين كل عصر.

(٢) لا تعارض مثالية "جوزايا رويس"، العلم ولا تقف حجرة عثرة أمامه، لذا جاءت فلسفته مثالية مطلقة واحدية تسير في تيار المثالية بصورة عامة، وفي تيار الفلاسفة الكانتين، أو من يسمون بالفلاسفة بعد كانت بصورة خاصة.

(٣) تحاول فلسفة "جوزايا رويس" المثالية، حل إشكالات الفلسفة الكانتية، كالفصل بين العمل والنظر والأنا العارف والأخلاقي وإشكالات أفكار النفس والله، والشيء في ذاته.

(٤) الأخلاق المثالية عند "جوزايا رويس" هي ما ينبغي أن تكون ، ويكمن الاصلاح المجتمعي برأي "جوزايا رويس" بالرجوع إلى تأثير الأخلاق التي هي علم المثل الأعلى، والعلم الذي يبحث في أفكار الإنسان من جهة صوابه وخطأها، وعلاقتها بالخير والشر.

(٥) لايؤمن "جوزايا رويس" بأن هناك عالمين للخير والشر ، بل اعتبارهما ثنائية التناقض أو التقابل في الكثير من الأشياء، ويفسر "جوزاي رويس" وجود الشر بأن الله لم يرد للعالم بشرور بطريقه عابثة، بل أراد الشر لكي ينتج الخير الأعظم.

(٦) يعد "جوزايا رويس" من فلاسفة الأخلاق المثاليين، الذين أرادوا أن تصبح الأخلاق كبديل للدين، وضمير مجتمعي حي يؤدي بالبشرية إلى الخلاص.

(٧) الولاء عند "جوزايا رويس" هو محاولة لأعلاء من شأن قيمة الفلسفات الداعية للوحدة البشرية المناضلة في سبيل تحسين السلوك الإنساني وتعديل مزاجه في تعاملاته مع الأخرين وبناء مجتمع أخلاقي قوامه التسامح والتعايش وقبول الأخر وفتح نوافذ الحوار واحترام خصوصيات الغير بقدر.

(٨) الولاء عند رويس ليس فقط مجرد فضيلة أخلاقية مثالية، وإنما يكون في جوهره

عقيدة ودنيا، لذلك يعد الولاء مصدراً للبصيرة الأخلاقية، ومصدراً للبصيرة الدينية، وتعد الروح الحقة للولاء في جوهرها مركباً كاملاً من مجموعة من الاهتمامات والقيم الأخلاقية والدينية، لذلك تقضي روح الولاء على الصراعات بين الأخلاقيين وتوفق بينهم وبين المدافعين عن الفضل الإلهي.

(٩) عالج "جوزايا رويس"، إشكالية الأخلاق بمنظور ديني خاصة في مشكلة العدالة الإلهية وتفسير وجود الشر، وكذلك"، إشكالية الحرية الأخلاقية للإنسان من منظور ديني أي من حيث علاقة الله بالإنسان.

(١٠) إذا كان "جزايا رويس"، قد عالج الأخلاق المثالية باعتباره "هجليًا" جديدًا من خلال فلسفته التوفيقة، فهذا لا يعني رد الدين إلى الفلسفة أو رد الفلسفة إلى الدين أو استبدال أحدهما بالآخر، و إنما بيان كيف يمكن القيام بالتوفيق بينهما، والتأكيد على أهمية كلاهما للتعبير عن جوانب الحياة النفسية والروحية.

(١١) وفي الأخلاق جاءت البصيرة الدينية أقرب للواجب الكانطي

(١٢) وفي تفسير وجود الشر اقترب من "هيجل"، و إن كان قد سلك طريقًا مختلفًا في البرهان .

(١٣) أن الانفعال مصدر الأخلاق وبالضبط في الإعجاب بأخلاق الولاء،

(١٤) أن الفهم الحقيقي للإنسان وقيمته في الكون تبدأ بدراسة النفس الإنسانية ثم دراسة صلتها بالواقع وبالطبيعة وبالمطلق ، وأن حرية الفرد واستقلاله يستند إلى العالم الذي يحيا فيه بحيث يحقق هدف محدد ومطلق، كما يحقق الإرادة الإلهية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلي الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ثبت بأهم مصادر ومراجع البحث

القر آن الكريم

أولاً: أهم المصادر والمراجع للبحث باللغة العربية.

(١) أ. روني إيلي ألفا: أعلام الفلسفة العرب والأجانب، قدم له، الرئيس شارل حلو، مراجعة، د. جورج نخل، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

(٢) أبراهام وولف: فلسفة المحدثين والمعاصرين، ترجمة ، ابو العلاء عفيفي، نشر لجنة الترجمة والتأليف، القاهرة، ط٢، ١٩٣٦م.

(٣) أبو الحسين بن الحجاج مسلم: صحيح مسلم، تحقيق، نظر محمد الفاريابى، دار طيبة للنشر، الرياض، ط١ ٢٠٠٦م.

(٤) أحمد الأنصاري : فلسفة الدين عند جوزايا رويس، نشر مركز الكتاب ، مصر، ٢٠٠٤م.

(٥) أحمد عبد الحليم عطية: القيم في الواقعية الجديدة، نشر دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(٦) بيرتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث "الفلسفة الحديثة" ترجمة، د. محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م.

(٧) جو زايا رويس : فلسفة الولاء، ترجمة، أحمد الأنصاري، مراجعة، د.حسن حنفي، نشر المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

(٨) جو زايا رويس : مبادىء المنطق، ترجمة، أحمد الأنصاري، مراجعة، د.حسن حنفي، نشر المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

(٩) جو زايا رويس : محاضرات في المثالية الحديث، ترجمة، أحمد الأنصاري، مراجعة، د.حسن حنفي، نشر المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.

(١٠) جو زايا رويس : مصادر البصيرة الدينية، ترجمة، أحمد الأنصاري،

مراجعة، د.حسن حنفي، نشر المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

(١١) جوتفريد ليبنتز: أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، تقديم وترجمة وتعليق، د. أحمد فؤاد كامل، نشر دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣م.

(١٢) جوزايا رويس : العالم والفرد الطبيعة ، الإنسان، النظام الخلقي، ترجمة، أحمد الأنصاري، مراجعة، حسن حنفي، نشر المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨م .

(١٣) جوزايا رويس : العالم والفرد الطبيعة، المفاهيم الأربعة التاريخية في الوجود، ترجمة، أحمد الأنصاري، مراجعة، د.حسن حنفي، نشر المركز والمشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

(١٤) جوزايا رويس: الجانب الديني للفلسفة، ترجمة ، أحمد الأنصاري، راجعه، حسن حنفي، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠م.

(١٥) جوزايا رويس: روح الفلسفة الحديثة، ترجمة، أحمد الأنصاري، نشر المجلس الأعلى للثقافة، الجيزة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.

(١٦) جونثان ري، وآخرون: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة، فؤاد كامل، وآخرون، نشر المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.

(١٧) جيرار ديلودال: الفلسفة الأمريكية، ترجمة، جورج كتورة، وإلهام الشعراني، نشر المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

(١٨) د. إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي ، نشر الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.

(١٩) د. أميمة خفاجي: دارون بين إنسانية الحيوان وحيوانية الإنسان، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت.

(٢٠) د. حسن حنفي: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة وتقديم وتعليق، د. حسن حنفي، نشر مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م.

(٢١) د. زكريا إبراهيم: مشكلة الحرية، نشر مكتبة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م.

(٢٢) د. عبد الرحمن بدوى: إمانويل كانط، نشر دار المطبوعات، الكويت، ط١،

١٩٧٧م.

(٢٣) د. عبد الرحمن بدوي: مدخل جديد إلى الفلسفة، نشر وكالة المطبوعات، الكويت، ط٢، ١٩٧٩م.

(٢٤) د. علي عبد المعطي محمد: بوزانكيت قمة المثالية في إنجلترا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار التأليف للنشر، الإسكندرية، ١٩٧٣م.

(٢٥) د. عماد الدين إبراهيم عبد الرازق: الدين عند إدجار شيفلد برايتمان، نشر دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م.

(٢٦) د.عماد الدين إبراهيم عبد الرازق: فلسفة الدين عند جوناثان إدواردز، الهانئ للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

(٢٧) روبرت سلمون : الدين من المنظور الفلسفي، ترجمة، حسون السراي، نشر دار المعارف للمطبوعات ، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م .

(٢٨) عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، نشر دار المدى، بيروت، ٢٠١٩م.

(٢٩) كمال زويبي: إشكالية الأخلاق المثالية في الفلسفة الأمريكية، نشر مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، طهران، العدد١١، ديسمبر ٢٠١٦م.

(٣٠) مسلم في صحيحه، تحقيق، نظر محمد الفاريابى، دار طيبة للنشر ، الرياض ، ط١، ٢٠٠٦م.

(٣١) وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة، محمود سيد أحمد، نشر التنوير للطباعة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

32- Herbert schmider, history of American philosophy, formbooks,

33- Jasiah Royce : the world and the endviual .part tow.1901.dover.p58.

New York 1957, p 355.